يوسف الصائغ

المسافة

قصة جديدة

يوسف الصائغ

الوسادة

قصة جديدة

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق ١٩٧٤

مكتبة الفكر الجديد

جميع حقوق الطبع محفوظة

تصميم الغلاف : للفنان العراقي ضياء العزاوي

مكتبة
الفكر
الجديد

انا : أصغوا الي رجاء (ضجيج) يجب أن تسمعوني ...
(الصوت ضائع تماماً) أيهـا السادة ... هدوءا
رجاءً ... اسمعوا.إن القضية (الضجيج على حاله)
القضية أيها الاخوان(لا جدوى..)ألا تسكتون؟...
(أنتظر قليلاً .. ثـم أخرج مسدساً من جيبي .
لا أحـد يعيرني اهتماماً) والآن .. والآن ...
(أوجه المسدس على الحاضرين وأطلق ثلاث اطلاقات
.. مع صوت آخر اطلاقة . تبدأ موسيقى عالية ،
ويُضاء المكان جميعه بشكل حاد ومفاجيء ، ويبدو
الحاضرون مطوقين برجال مدججين بالسلاح ...

يسود الصمت .. لا شيء سوى الموسيقى التي تأخذ بالخفوت تدريجياً ، لتتنازل لصوت سـيارة اسعاف ما يلبث أن يرتفع بشكل رهيب . ثم ينقطع فجأة ، وتسمع أبواب وهي تفتح ، ويدخل عدد من رجال الاسعاف ، يلتقطون ثلاثة قتلى ، ثم يخرجون بهم على نقالات ...

مكتبة الفكر الجديد

تغلق الابواب ..
لحظة ...)

أنا : (بهدوء) كان لا بد من هذا ليسود النظام .
(تطفأ جميع الاضواء ، ويسود ظلام تام ...
صمت ...)

صوت طفل : (يبكي) .
صوت رجل : انني مصاب بالربو .. سأختنق ..
أصوات : هش ...
صوت رجل : انني لا أرى شيئاً .
صوت امرأة : ابتعد ... أوه ...
أصوات : ما هذا ؟ ما الذي يجري ؟ الضياء ...
هش ... هش ..
صوت ضخم صادر عن مايكرفون : التفتوا الى الوراء...
انظروا الى الخلف جميعاً .
(يلتفت الجميع الى الخلف بصعوبة)

أنا : (أنا الشيء الوحيد الذي يمكن رؤيته بسبب
من شعاع يسقط على وجهي من مكان مبهم ...)
والآن ... اليكم القضية .. انتبهوا ..
واحد اثنان .. ثلاثة .

(يضاء المكان بأسره .. يبدو « هو »
الآن وسط المشهد ، واقفاً باستقامة وعند
قدميه يرى « القتيل » مقتولاً .. تعلو همهمة

مكتبة
الفكر
الجديد

من الحشد اذ يبدو أن بعض الحاضرين قد تعرف عليه) ٠

أنا : لا بد أنكم تعرفونه ٠٠٠

أصوات : أجل انه هو / ٠٠٠ من هو ؟ / القاتل ٠٠٠ / أخبرونا من يكون ٠٠٠ / أعدموه ٠٠٠ / ولكن من هو ؟٠٠ / الجبان ٠٠

صوت : ولكن ماذا تقصدون بكل هذا ؟ علام جئتم به الى هنا ؟

صوت آخر : حقاً ماذا تقصدون من اثارة هذه القضية ؟ لقد مضى عليها سنوات طويلة ٠٠٠

صوت : عشرون سنة ٠٠ تصوروا ٠٠٠

صوت : أية عشرين ؟ لقد حدث هذا قبل سنة فقط ٠٠

صوت : حدث البارحة !

صوت : حدث غداً ٠٠٠

أنا : بل سيحدث الآن ٠٠٠

أصوات : الآن ؟ / في هذه الساعة / ٠٠٠ولكننا / ٠٠٠

أنا : أصغوا ٠٠

صوت : فلتصغوا ٠ ألا ترون ؟ انه يتحرك وكأنه يريد أن يكون شيئاً ٠٠

صوت : اسمعوا ما سيقوله ٠٠

صوت امرأة : مسكين !

صوت امرأة أخرى : اسكتي ٠٠٠

صوت طفل : ماما ٠٠ أنا خائف٠٠فلنذهب الى البيت٠٠

مكتبة الفكر الجديد

صوت المرأة : لا تخف يا ولدي ·· لا تخف ياحبيبي ···

أصوات : هش ··· اصغوا ··

رجـل : (بنفاد صبر) هيا تكلم ·· اننا نصغي اليك!

هـو : كان وهماً ··· أستطيع الساعة أن أحس بأن ما جرى كان وهماً ··· بل انه لوهم حقاً ·· (يطفأ الضياء ويتحول المكان الى غرفـة ·· وتنبثق اضاءة قادمة من الخارج تكشف عن ثلاثة أشخاص ··

هـو : واقف عند النافذة ·

رجلان : ألف وباء

: امرأة ··)

الرجل ألف : اسلكوا الزقاق · وسيقودكم الشارع مـن الخلف · الحصـار هناك ما يـزال ضعيفاً · وستحميكم الظلمة ، فاذا عبرتم الشارع أمكنكم الانسحاب تماماً ··

هـو : اذن ·· لم يعد ثمة أمل ؟

الرجل ألف : كل ما عليكم الآن هو أن تنسحبوا ··

هـو : (عند النافذة يفكر)

شعرت لأول مرة باليقظة · وبدا أنني كنت مخدوعاً · وفقدت كل طاقة على الغضب والخوف والحزن ·· شيء واحـد تبقى : الهرب ·· كان الهرب معقولا ومبرراً ·· وجاءت مسؤولية (بـاء) وزوجته ،

مكتبة الفكر الجديد

فأعطتني المزيد من الهرب • أصبحت مهرب بضاعة خطرة •••• مغامرة في وجـه الفشل ، تعادله ، وتنقذني من السكون •• والخوف ••

ـ تعالوا •

جاءا فتبعاني • (باء) وزوجته • الزقاق مظلم ويكاد يكون مقفراً • الجـو غائم •• انها بدايـة الليل •• وقريباً تمطر ••

سرنا بصمت • نسكن مغامرة الهرب • معادلة الخيبة هي أهم ما تنتجه أقدامنا على الطريق •

النوافذ مطفأة •• قاسية القلب •• أصـوات الرصاص قريبة وبعيدة ••

كانا يتبعاني • (باء) مهدم تماما • الخوف يفرغ سترته من صدره • زوجته الى اليسار •• معطفها أصفر ، شعرها معقوص •

يتجه الزقاق الى الشارع •

أجد الشارع عند النهاية في مكانه •

ـ قفوا ••

وقفا •• واضح أن (باء) اختـار الخوف •• كرهته لأنني أحسست أنه يخافني •

ـ يجب أن نعبر بسرعة •• ستفيدنا الظلمـة • هـل تستطيعين الركض ؟

أومأت برأسـها • قلت في نفسي « شجاعة » ولم أستطع أن أرى وجهها في الظلمة •••

مكتبة الفكر الجديد

عبرت الشارع • لم يكن ثمة متسع للخوف ••
تبعني الرصاص في الظلمة ••• أصبح (باء) وزوجته
في الجانب الآخر •• كان يفصلنا الموت •• وهدأ
رصاص المدفع الرشاش وأشرت الى المرأة •••
ركضت •• زخ الرصاص مرة أخرى ••• رأيتها
بجانبي ••• حافية •• تحمل حذاءها بيدها وسمعنا
صوت سيارة ••• امتد ضياؤها في الشارع •••

تعالي •
ترددت
هيا لقد جاءوا •
ظل زوجها في الجانب الآخر واقفاً في مكانه ••
تعالي ••
أخذتها من يدها •• وركضنا داخل زقاق جديد ••
كان الهرب حقيقياً • وكان لذيذاً •• وكانت هي
بجانبي وظل الجو ينذر بالمطر ••
ابتعدنا •• سمعت لهاثها على لهاثي •• ولم نفكر
أين نذهب •••
العالم كله يصلح مكاناً للهرب •• كله وليس أيما
مكان معين منه •
سألتني :
الى أين ؟
لا أدري
أنكرت صوتي •

مكتبة الفكر الجديد

وظل صوت الرصاص بعيداً وقريباً · كان يقابل الهرب ·· وكان الهرب في وجوهنا ··· تضيق الدنيا فيتأزم ·· وتزداد لذته المحرّمة ·

أسلمنا الطريق الى الساحة ··

صوت : قف ··

صوت الزوجة : عيني ·· حوصرنا ·· والاولاد في البيت ··· أوصلونا بسيارتكم ·

الصوت : ممنوع ··· هيا أمضيا ·· ممنوع التجول !

الزوجة : عيني ··

···· الهرب ···

بدأ المطر يسقط ·· القطرة الاولى سقطت على جبيني · وشممت رطوبة الاسفلت على الشارع ··· والظلمة ·· وصوت السيارات المسرعة ··

ـ قف

ـ عيني ·· رجاءً ··

ـ أسرعا ··

سلكنا شارعاً فرعياً · ثمة بيت أعرفه هناك ··

نعبر أربعة شوارع فرعية ثم ·· البيت الخامس ·· زاد سقوط المطر ··

معطفها ابتل عنـد الكتفين ·· شعرها ·· وظلت تسير صامتة · وتذكرت أنني لا أعرف حتى اسمها ·· ومرت سـيارة في الشارع الرئيسي · وسمعنا اطلاقات

مكتبة الفكر الجديد

نارية قريبة · وكان البيت الذي أعرفه في مكانه ، وكان باب الحديقة مقفلاً ··· وفي الداخل أيضاً كانت الظلمة والمطر ···

قرعت الجرس ·

سمعتْ صوته الرطب أشجار اليوكالبتس ··· وأوراق أشجار البرتقال ·· وحنفية الماء الكدر عند باب الحديقة الحديدي ··

(منظر الحديقة يرى مبهماً ·· وعند بابه رجل وامرأة · همس الرجل شيئاً ·· صعد سور الحديقة بصعوبة ·· ثم قفز ··)

(المنظر في عيني الزوجة : هو في الداخل ·· وجهه وراء حديد باب الحديقة المشبك ··شعره يلتمع في الظلمة التماعاً وحشياً ··

وسمعته يهمس :

ـ سأحاول فتح الباب ··· ···)

(المنظر يُرى من سطح الدار ··· يبدوان من الاعلى أصغر حجماً ·· حركتهما مرتبكة : « هو » الى الامام وهي وراءه ·· والمطر ·· لا مكان يلجآن اليه الا الفسحة الضيقة أمام الباب) ·

هو : حاولت أن أفتح الباب عبثاً · وقلت بصوت مسموع :

ـ لا فائدة ··

مكتبة الفكر الجديد

كان المطر يبعث على اليأس · وأحسست بالبرد ·

هـي : (واقفة بالقرب منه · ظهرها الى الحائط · وعيناها الى المطر ·· الحديقة مبللة ··· صوت المطر يدفع الى الارتباك ·· شعرها مبلل تماماً) ·

هـو : (ينظر اليها ·· لا يجد كلاماً يقوله ·· ما تزال به حاجة الى الهرب) ·

المطر : يزداد

الحديقة : تلتمع بقسوة ·

من بعيد صوت رصاص ·· وسيارات تعبر مسرعة ··

قالت لنفسها : لقد خسرنا ·

قـال لنفسه : لو استطعت حسب أن أفتح الباب ··

وأبرقت السماء · فلمح وجهها · بدا له أنه يراها في فيلم ·· شعرها أسـود مبلل بالماء ·· خصلات منه تلتصق عـلى جبينها · وخيل اليـه أن في نظراتها شيئاً أسطورياً · كأنه يراها في حلم ·

قال في نفسه : لو كف هذا المطر عن السقوط ! واقشعر جسمه · حرك قدمه ، ونظر الى السماء بلا مبالاة :

ـ ليسقط المطر ·· لقد خسرنا ·

ودوى صوت رصاص قريب ···

ومرت سيارة : اقترب صوتها ·· اقترب ···

تعالي ··

وقرفصا · وحين مس كتفها بيده ، أحس أنها ترتعد ·

مكتبة الفكر الجديد

عبرت السيارة · سألها :

ـ خائفة ؟

كان في صوته نبرة أليفة أحبها · ولم ير وجهها حين قالت :

ـ أحس بالبرد ·· باردة !·

نزع سترته ، ووضعها على كتفيها · فلسعه الهواء البارد على قميصه · وقاوم بشدةرغبته في أنيرتعد ··· وقاوم الندم !

هـو : اشتاق الى سيكارة ·

هـي : في نفس اللحظة اشتاقت أن يكون لها طفل في غرفة هادئة ، يبكي ، فتقوم وترضعه·وفكرت بالموت دونما خوف ، وتذكرت قمصان زوجها التي أرسلتها الى المكوى··واستذكرت الساعة على المنضدة قرب السرير ، ورقم التليفون ·· وراحت تكرر الرقم في نفسها ٧٦٥٤٣٢ ·

هـو : ظل يتفرس في السماء · ومن بعيد خيل إليه أن الظلمة تخف ، وأنه يلمح نجمة ما · وجاءت ذكريات اليوم المنصرم · فطردها ·

الهرب ··· كف الهرب عن أن يكون منقذاً · وجاء السكون الآن والبرد ، ووجه المرأة المبهم عند الزاوية ·

هـي : استسلمتللبرد··وبدا لها أنالليللن ينتهي··

مكتبة الفكر الجديد

هـو : خيل إليه أن قنينة الغاز عند باب الحديقة جسم حي ·· وأنها تنظر اليـه بدون اهتمام ·· ودونما مبرر ، أخرج أوراقاً من جيبه ، وراح يمزقها ، ثم تركها للمطر ·· وسـمع صوتها مع المطر :

ـ أوف ···

ـ بردانه ·· ها ؟

وحاول مرة أخرى أن يجد شـيئاً يقوله · واستمر المطر ·· مملاً ·· رطباً ·· وتحركت رؤوس الاشجار بطريقة مريبة ·· وقلت في نفسي : هذا عالم لا مكان لنا فيـه ·· وفكرت بانسان مرفوض بطريقة غريبة ··· وتسلل الخوف الى نفسي ·· وقلت في داخلي : « أخرج الآن واسلّم ·· » ومشت قشعريرة في جسمي · وبدا لي أنها ترتعد أيضاً ··· وفكرت : أن وجودها الصامت هنا ضروري ، لا يمكن تفاديه ·· والا فالعالم موحش··· و سيكارة ··

بحث في جيوبه بيأس · وسمعها تسأله عن الساعة · فانتبه لاول مرة المزمن · ونظر الى ساعته فوجدها تقارب التاسعة والنصف · سألها :

ـ لماذا ؟

ـ لا شيء ···

كان واضحاً أنها تقاوم رعـدة في صوتها · وتطلع

مكتبة الفكر الجديد

اليها هذه المرة بصراحة • كانت عند الزاوية ، متجمعة على نفسها ، وبدت داخل سترته مثل طفلة •• وقال :

ـ ما من مكان نستطيع اللجوء اليه ؟

ولم تجب • فأضاف :

ـ سنبقى هنا حتى الفجر •••

ثم أمسكت عن الكلام • اكتشفت أن الفجر سيكون مخيفاً ، وخطراً ، وباعثاً على اليأس ، أكثر من هذا الليل والبرد •• والمطر الرتيب •• طردت الفكرة •• وهربت منها الى نافذة مضاءة من بعيد ينعكس ضياؤها في المطر بشكل أليف جداً •

(منظر النافذة المضاءة يقترب •• فهي غرفة بهـا سرير كبـير فارغ •• الفراش مبعثر •• منضدة عليها كتاب مفتوح •• على مشجب الملابس قميص امرأة •• صورة معلقة لوجه لا يُرى جيـداً •• وعاء للماء •• حذاء •• ثم ••

مناظر تتابع لعدد من النوافذ في المدينة) •

نافذة (١) : في طابق أرضي الستارة مسدلة ، خلالها يمكن رؤية شبان يجلسون الى مذياع •

نافذة (٢) : عائلة •• الطعام على المائدة •• عجوز تنيم طفلاً •

نافذة (٣) : رجال مسلحون •

نافذة (٤) : مطفأة ينعكس في الغرفة ضياء من باب مقابل فيبدو شاب وفتاة وهما ملتصقان ••

نافذة (٥) : مطبعة •

نافذة (٦) : مظلمة •

مكتبة الفكر الجديد

نافذة (٧) : مظلمة ٠
نافذة غرفتي : سريري وسرير أخي فارغان ٠٠ بدلتي الرمادية معلقة عند الباب ٠ يبدو كم السترة مثل يد مشنوق ٠)

ـ أوف يا ربي ٠
سمعتها ترتعد هذه المرة بوضوح ٠
كان البرد والظلام ٠٠٠ والمطر أشياء لايمكن احتمالها ٠
أردت أن أقول لها :
ـ تعالي نخرج وليكن ما يكون ٠
فتحت فمي ٠٠
ـ ت ٠٠٠

حتى الاستسلام بدا تلك اللحظة بحاجة الى قوة ، وجاءني صوتها وهي تبتلع ريقها بصعوبة ٠ وخيل الي أنها ابتدأت تبكي ٠

واستنكرت منظرها وهي حافية تركض معي عبر الزقاق ٠٠ ورأيت وجه زوجها ٠ ومرة أخرى أردت أن أقول لها :
ـ تعالي نخرج فنسلم أنفسنا ٠
وفتحت فمي :
ـ تعالي
سقط صوتي مع المطر ٠٠٠
ـ أوف
اقتربت منها ٠ وبدأت أرتجف ٠ وكنت خائفاً ٠٠

مكتبة الفكر الجديد

•• وكنتُ خائفةً ••• أرتعش من البرد • وضع يده فوق كتفي • ثم صعد بها فأخذ يعتصر شعري • وغالبتني الدموع فبكيت •••

يده الآن تدلك كتفي •• وسمعت أنفاسه على وجهي • وازددت بكاءً ••••

أما أنا فامتلأتُ بالحنان •

أصبح رأسها الآن على صدري • ورحت أدلك ظهرها المبلل •• دلكته بحمية ويأس •• ولم أكن أبالي أن يدي ربما آذتها •••

وبـدأ الدفء •• بـدأ بقشعريرة ••• بحزن •• وخيبة وتعب ••

ـ أوف

•••• •••• •••• ••••
•••• •••• •••• ••••

ولم يعد مطر •• ولا ظلمة •• ولا وجود •• بدأ الهرب ، بدأ في الليل عند ساعة منسية في معصمي •

وفي غمرة من حماستي تذكرت أن الفجر سيكون مخيفاً وصعباً •• وقاتلاً • فأغمضت عيني •• وسقطت •• وظل الهواء يحملني ساعة كاملة • ورحت أنتظر بحماسة اللحظة التي أمسّ بها الأرض •••

(فجأة يسمع صوت جسم يسقط •••
يضاء المكان •••)

مكتبة الفكر الجديد

صـــوت : نذل ·· (يسقط الصوت في أرض طينية)·
أنـــا : القضية تكمن هنا ·· إن كان نذلاً أم لا ؟

صوت رجل : نذل !
رجل آخر : إنسان بلا قيم ·· جبان !
هـــو : (بصوت آلي) بخصوص القيم ·· في تلك الساعات كانت القيم مُفرّغة من معناها تماماً ·· كانت مُطلقةً وإنسانية الى أبعد الحدود ··

صوت امرأة: حسناً · وماذا جرى بعدئذ ؟
أصـــوات : أجل ماذا جرى ؟
هـــو : (بنفس النبرة) عندما قارب الفجر ·· كانت هي نائمة من الراحة والخوف والتعب ·· وكان المطر قد كف عن السقوط تركتها وخرجت ···

هـــو : (في نفسه) كنت خائفاً من احساس بالحاجة اليها ، وبانتهاء هربي ·· وبرغبتي الملحة في الاستسلام ·· منها بالذات ، عندما يطلع الفجر ·· ويبدأ الخوف ···

أنـــا : لماذا تركتها ؟
هـــو : لم تعد بحاجة الي ·· أصبح وجودي معها خطراً عليها ···

(في نفسه) كنت أخاف مـــن أن نلتقي صباحاً ··

مكتبة الفكر الجديد

ـ أنت ·· هي · قف

قال ابن أختي :

ـ هويتك !··

قلت في نفسي : انتهى الأمر ·

أخرجت أوراقي باستسلام · تفحصها ابن أختي · اقترب الفتى الاصغر ·· الثالث استوقف عابراً آخر · أحدهم ابتسم لي · لم أعد الآن أذكر · وقال لي :

ـ تفضل ···

سرت · وتبعني الهرب · في ليلة واحدة تغيّرت المدينة ·· موحلة ·· وقاسية··وغريبة · وكنت أدرك إحساسها العميق بالخوف والدهشة ·· كأنها موشكة على انهيار عصبي ·

سرتُ ·· وفجأة :

(يسمع صوت انفجار قوي ··· يلتمع المكان بحدة يعلو غبار ، حين ينجلي يبدو (هو) في مكانه ·· (أنا) بجانبه) ·

هـو : (مشيراً الي) أين كنت ساعة كنتُ أسير في المدينة ؟

أنـا : كنتُ في البيت ·

هـو : (الى الناس) وأنتم ؟ أين كنتم ؟

يُسلط نور قوي فيكشف الناس وجهاً وجهاً) ·

هـو : (للوجه الاول) أنت : أجل · أين كنت ؟

مكتبة الفكر الجديد

الوجه : متى ؟
هـو : ساعة كنت أسير ؟
الوجه : في البيت • (يطفأ الضياء)
هـو : (لوجه آخر) وأنت ؟
الوجه : في البيت •
(يتكرر السؤال لعدد من الوجوه وتكون الاجابة مماثلة ••)
هـو : (لوجه آخر) وأنت ؟ كنت في البيت أيضاً ؟
الوجه : لا •
هـو : (ضوء مغاير يغمر وجهه) أين كنت اذن ؟
الوجه : كنت أقرأ هويات العابرين •
هـو : (يتطلع اليه باهتمام) انتظر رويداً (يقترب منه) دعني أتطلع اليك جيداً • والآن • أجـل • إنني أعرفك •• لقد فحصت هويتي ••
الوجه : ربما ••
هـو : (بقوة) بالتأكيد لقد فعلت ذلك • وحين قرأت اسمي لا بد أنك عرفتني •
الوجه : (بتردد) أجل عرفتك •
هـو : يومها كنت أكثر حماساً وشباباً • أخبرني • لماذا لم تلق القبض علي ؟
الوجه : لا أدري ربما لأنك كنتَ خائفاً •••
هـو : وأنت أيضاً • كنت خائفاً •
الوجه : أجـل •

مكتبة الفكر الجديد

هـو : شجاع · دعني أصافحك · فكلانا لـم يكن في البيت · (يلتفت الى الشخص المجاور) وأنت ؟

الوجه : كانوا قد اعتقلوني ·

هـو : هكذا مبكراً ؟ لا بد أنك أسلمت نفسك ··

الوجه : أبداً ·· لقد خرجت و ···

هـو : (يقاطعه) مفهوم ·· بقيت تتجول حتى اعتقلوك ··

(لنفسه) هذا ما فعلته ··· كنت أسير في الشارع متوقعاً أن يُلقى القبض علي وأستريح ··· الرهيب أنه لم يكن ثمة مكان أهرب اليه ··كنت أهرب بلا اتجاه ·· يمكن القول بأن تلك كانت مغامرتي المكشوفة · ذهبت الى بيت (س) ·

(يُرى الآن واقفاً عند باب حديقة يقرع الجرس ··· يعوي كلب من الداخل ··· يطل وجه من وراء ستار النافذة ··· تلاحظ حركة ··· يقرع الجرس مـرة أخرى ·· تمر سيارة) ·

ـ مرفوض ··· مرفوض ···

يا للحزن الذي يشبه الموت · ويدفع الى الاستسلام ، مكايدة على الأقل ·

أمشي ·· أمشي ··· بيت (ص) أحد أقاربي : تاجر ·· ورجل دمث محبوب ··

(صالون أحد المنازل الفخمة)

مكتبة الفكر الجديد

الزوجة : (جميلة جداً ومرحة) كيف جئت ؟ ..

ص : أوه ... (بفتور) مرحباً (ينظر الى زوجته بحرج ..

يتحرك المنظر بسرعة [illegible] يقدمون له الطعام

... يقدمون له [illegible] يتحدثون باقتضاب

... وبسرعة [illegible] يتناولون [illegible] بسرعة [illegible]

[illegible]

صوت ص : مغامرة أن تجيء الى (هنا [illegible])

[illegible]

صوت ص : والآن [illegible]

.. ([illegible] عهد [illegible] هو

أنا ... والناس)

هو : مرفوضاً كنت .. ؟ [illegible]

ذلك مريعاً .. الا أنني أستشعر الآن [illegible]

متفردة ...

[illegible]

[illegible]

[illegible] : كيف [illegible] ؟ ..

[illegible] .. : أجيال [illegible]

آخر .. : [illegible] كيف [illegible] قتله ؟

هو : ليس سهلا الحديث [illegible]

[illegible] يجب أن [illegible]

[illegible] : قتل [illegible] ؟ [illegible] من (الذي قتله !

مكتبة الفكر الجديد

أنـا : هذا (أشير الى صورة كبيرة للمقتول موضوعة بجانبه (هو) • والصورة تتشكل أساساً من المقتول نفسه واقفاً بطوله وراء إطار أسود فارغ) هذا هو القتيل •

(تغمر الصورة بضياء شاحب)

أنـا : هذه الصورة أخذت قبل القتل ••

صوت يقاطعني : هل لديك احتمال بأنها قد أخذت بعده ؟ (ضحك)

أنـا : (مستمراً) أ'خذت قبل القتل بأعوام • كان عمره آنذاك ثلاثين عاماً •••

هـو : وكان صديقي •• تعارفنا في العمل •• وكنت أ'حبه ••

صوت امرأة: وقتلته مع ذلك ؟

هـو : أجـل •

صوت : هكذا ببساطة ؟

هـو : أجل ببساطة • (لحظة) انتظر • لقد كذبت عليك • ليس بهذه البساطة • لا يمكن أن يكون القتـل بهذه البساطة • ألا ترون • يمكن أن يكون بسيطاً مع الاعتياد والتكرار ••• يمكن أن يكون مقبولا ومحتملا مع التكافؤ •••

صوت : ولكن لماذا قتلته ؟

صوت : هل قتلته دفاعاً عن النفس ؟ لكي لا يقتلك •••

هـو : (متردداً) لم أفكر بهذا من قبل •• يمكن أن

مكتبة الفكر الجديد

تقول ذلك • يمكن القول بأنني قتلته دفاعاً عن النفس •• شيء من هـذا القبيل (تختفي الصورة) •

أصوات : كيف ؟ •• / قل لنا ••• / لا تصدقوه •• / النذل • / هش دعوه يتحدث •• /

هـو : ليس ذلك سهلا •• ليس ذلك سهلا •••

صوت : مقدماً • قل لنا ألست نذلا وخائناً ؟

هـو : يصح ذلك من وجهة نظر معينة • إنما ••

صوت : ألم تكن جباناً • خفت فهربت • وانهرت ؟ و••

هـو : (مقاطعاً) هذا صحيح بشكل مجرد ••ولكن••

صوت : ألم تستسغ ارتكاب الجرائم ؟

هـو : يسهل قول ذلك •• لكنما ••

صوت : والذين تسببت في تهديمهم • والذين فقدوا ثقتهم بأنفسهم •••

هـو : صحيح إلا أنني •••

صوت : وأصدقاؤك •• وأهلك •• والذين ••

هـو : كل هذا ••

صوت : وذكرياتك •• والماضي والـ ••

هـو : أجـل •• أجـل •••

صوت : حتى المصاعب التي عانيت ؟

هـو : صحيح •••

صوت : والـ

أنـا : (بصراخ) كفى ••• ما إن تلبسـوا جلـد القضاة حتى تصبحوا جزارين •••

مكتبة الفكر الجديد

هـو : (بطيب) أنتم ترون أنني جئت أحتكم اليكم ·· انما أتوسل ·· أصغوا الي ··ثم بعد ذلك قولوا عني ما شئتم ··

(آلة تسجيل تُعيد المقطع السابق)

ـ مُقدماً قل لنا ··· ألم تكن ؟··

ـ ···

ـ ألم تكن جباناً خفت فهربت ؟···

ـ ···

ـ ألم تستسغ ارتكاب الجرائم وال ··؟

ـ ···

ـ والذين تسببت في تهديمهم ·· والذين ··؟

ـ ···

ـ وأصدقاؤك وأهلك و ···؟

ـ ···

ـ وذكرياتك ؟···

ـ ···

ـ حتى المصاعب التي ··

هـو : صحيح ··· كل ما تقولونه صحيح ·· وإنني لأعترف به ·

صوت : انها لخديعة ·· انـه يمارس لعبة المسكنة ليكسبكم الى صفه ··· لتعطفوا عليه ··

هـو : (لنفسه) لا يجدي العطف (يخاطبني) أنت تدري أن العطف لا يمكن أن يقدم لي سـوى المزيد من الاحتقار ·

مكتبة الفكر الجديد

انـا : ماذا تريد اذن ؟

هـو : لست أدري · ربما وددت أن أضعهم جميعاً أمام امتحاني ، وأن أهز هذه الثقة الزائفة التي تملأ أصواتهم (الى الناس) اسمعوا · أصغوا الي (بصوت جديد) نحن غـير متساوين الآن · أنتم قضاتي · وأنا المحكوم عليه بينكم مقدماً · لا مناص من ذلك · انما يبدو لي أن القاضي العادل يجدر به أن يساوي محكومه في التجربة (بصوت مرتفع) أيها الناس هل أنتم واثقون أنكم لو خضتم تجربتي · وعانيتم عذابي ·· وضعفي ·· وقوتي لكنتم مؤهلين للخروج من كل ذلك بالبطولة ؟ ها ؟ أجيبوني ·

انـا : لا أحد يمكن أن يقرر ذلك مقدماً ·

صوت : الابطال يطيقون ·

هـو : من البطل؟ ·· من المؤهل فيكم فليتقدم وليمارس حكمه علي ·

انـا : هراء · انك تضع البطولة في مستوى الخيانة ·

هـو : (وكأنمـا يتحدث الى نفسه) شعرة" واحـدة تفصل بينهما · لحظة ·· هكـذا كالفرق بين الساعة الثانية عشرة والثانية عشرة ودقيقة واحدة · لن يكون خائناً الا بطل ·· وكلما ازدادت طاقته على البطولة كان تعرضه للسقوط أشـد · لهذا فالعلاقة بينهما وطيدة كعلاقة

مكتبة الفكر الجديد

الموت بالحياة ·· وأنا أبحث عن الفاصل بين هذين الحدين ·· أبحث عن بطل يحكم علي بالموت · لن يفهمني سوى البطل ···
(ضحك ··)

هـو : (مستمراً) أجل · أما أنتم · فأنتم لاتزيدون عن متفرجين ·· مشاهدين عاديين ·· تعجبكم البطولة ·· وتستثيركم الخيانة بنفس القوة ·· كأنهما تجريان على مسرحية ···

الفرق ·· إنكم حين تخرجونه من المسرحية تتركون الأبطال والخونة يموتون كل على طريقته · وكل منكم حين يأوي الى بيته يأخذ الى الحائط نموذجاً من بطل يزين به جدار البيت ·· وينطوي في أعماقه على خائن يخافه ويحقد عليه · (بقوة) لهذا فأنتم غير جديرين بالحكم علي ·· ومع ذلك فالمسرحية بحاجة الى متفرجين (بطريقة مسرحية) افتحوا الابواب ولتحتشد القاعة بالمزيد من المتفرجين · · ادخلوا بلا تذاكر ··· بلا ثمن ·· لأننا بالتالي بحاجة اليكم ·· انظروا وصفقوا ·· وابصقوا ··· ذلكم هو دوركم ·· انما عليكم أن تذكروا دائماً ، أنكم لستم سوى متفرجين ·· غير جديرين ··
(بنبرة متغيرة) أما هو فكان جديراً ·

مكتبة الفكر الجديد

(تعود صورة القتيل الكبيرة ... القتيل واقف كما في المشهد السابق... تبدأ موسيقى ناعمة ..)

هـو : وتعارفنا (يمد يده للقتيل عبر الصورة ويصافحه .. وحين ينتهي تتخذ الصورة وضعاً جديداً .. القتيل يواجه الناس ويبتسم بسعة .) وكنت أدرك دائماً أنـه أجدر مني .. ولهذا كنت أطمح اليه .. وأحبه كأنني أحب طموحي .. وأخافه بشكل غامض أغلفه بالتحدي .. وفي صباح التجربة افترقنا .

(تنطفيء صورة القتيل ويمتلىء المكان بريح عاصفة .. أصوات صراخ .. رصاص ... سيارات ..)

هـو : (مستمراً) لا يخاف البطل في المعركة .. لانه لن يكون لديه وقت للخوف .. انه يمتلىء مثل الاطفال باللعبة .. ويصبح حتى الموت سهلا . هكذا : تقتلني أو أقتلك .. وأنا لم أكن خائفاً، ولا متردداً ، ولا ضعيفاً .. كنت صافياً مثل طفل .. نقياً مقتنعاً مثل قديس .

ثـم :

صوت الرجل: اسلكوا الزقاق وسيقودكم الشارع من الخلف .

صوت المرأة : أوف ياربي

مكتبة الفكر الجديد

صوت ص : سنأمره أن يتجيء الى هنا ..
أصوات : أقف ... تحرك .. تفضل .. الهوية ... هي
(صوت إطلاقة وجسم يسقط) .

هـ : (وكأنه المصاب) آه .. (بفتور) الموت هكذا يمكن أن يكون مخيفاً الى حد ما . وحين يفكر البطل بالموت يصبح إنساناً عادياً .. لقد رأيته يموت أمامي .. هكذا .. دون أيما فرصة للبطولة أو الخيانة (يُسلط ضياء على جدار ويُرى شخص أبيض من الخوف رافعاً يديه .. ثم تطلق عليه النار) وقُتل ... النملة تموت بسهولة .. أما الانسان فهو يموت بطريقة كريهة . ظل يتخبط .. ووجهه على الارض .. دقائق كأنها موت البشرية كاملة ... لقد كان ذلك كريهاً الى درجة تستفز المرء الى المزيد من الجبن أو (لخطة) الى المزيد من الشجاعة . ثم جاء واحد ودحرج الجثة وصرخ ضاحكاً :

ـ آه .. لقد تبول على نفسه ..

ساعتها قلت إنهم يكذبون ... لأنني تخيلت نفسي مكانه .. وكان بي من التحدي ما يكفي لان أموت بنفس الطريقة الغامضة .. حتى ولو تبولت على نفسي . (الى الناس) هل ثمة بينكم من يضمن أنه لن يفعلها على نفسه حين يقتلونه بنفس الطريقة؟ ... أجيبوا أيها المتفرجون .. هل بينكم من يضمن مقدماً أنه لن يصرخ ؟ ..

مكتبة الفكر الجديد

ويتوسل ؟. أنا كنت لحظتها مستعداً للموت ... كنت خائفاً .. ولكن الموت كان مقبولا .. راهناً ولا مناص منه . وهتفوا بي :

ـ أنت .. تقدّمْ !!

رفعت ذراعي ، واستندت الى الجدار . لم يكن ذلك صعباً بالدرجة التي يوحي بهـا الكلام .. كان به شيء يهـون .. شيء يوحي اليك بأن القضية بأسرها غير مصدقة .. حلم وستفيق منه وشيكاً (بصوت متغير) لقد كان ممكناً أن أموت عند ذاك وأغدو بطلاً . إنما صدقوني .. في تلك اللحظة .. ومع قبولي الموت .. لم أكن أفكر بالبطولة أو الخيانـة ... كنت مستسلماً تماماً .. هارباً من شيء ما .. لا دخل لارادتي في ذلك .. ولم يخطر حتـى أن أصرخ .. ولو خطر لي .. ولو أطقته ، لفعلته ... إنها قضية مزاج ... شيء واحد كنت أفكر فيه : ألا أتبول على نفسي . وفي تلك اللحظة، جاء واحد منهم ... لم يكن يفصلني عن أن أكون جثة سوى لحظة . جاء وأفسد كل شيء . صرخ بجماعته :

ـ ماذا تفعلون ؟ انه هو .

وحدقوا الي . وتخلى عني الموت .

وأخذوني .

المطر يسقط بشدة . ورأيتها في غرفة ما : كمـا تركتها مستندة الى الحائط .. نائمة من التعب والارتياح

مكتبة الفكر الجديد

والليل والمطر ·· وحينما رأيتها امتلأت مـن جديد ، بالرغبة في الحياة ·

صوت رجل : حقير ··

هـو : أبداً · تصور · لقد كان ممكناً أن أكون بطلا لو قتلوني ·· بطـلا بالرغم مني (يضحك بمرارة) وكنتُ واثقاً من أنني لو فعلوا ·· لما تبولت على نفسي ··وحتى لو فعلت · ماذا يهم ؟ انكم لن تبلغوا من السخف درجـة أن تحاسبوا بطلاً على ضعف مثانته ·

صوت : يا للوقاحة !

صوت : كيف يسمح له أن يتكلم بهذه الطريقة ··؟

صوت : هيا فلنخرج ونتركه يتحدث الى نفسه

صوت : لقد ضجرنا · افتحوا الابواب ·

صوت : فليقل ما شاء · لن يغير ذاك من خيانته ·

صوت : ولكن كيف يسمحون بهذا ···

صوت : فلنخرج ··

صوت : بل سنصغي اليه ···

صوت : تعالوا ···

أنـا : لن يخرج أحد منكم · ستصغون اليه حتى النهاية ··· تلك هي فرصته ·

هـو : (لنفسه) أجـل انها فرصتي الوحيـدة · (يخاطبني) شكراً · لست أدري لماذا تحتملني ·

مكتبة الفكر الجديد

قـل لي • ألا تعتبرني حقيراً ؟••• أنت لا تزدريني ؟ أليس كذلك ؟

أنـا : بل انك لكذلك•••ولكنني أحس أحياناً أنني ربما ، وفي ظروف كظروفك ، ربما ارتكبت ما ارتكبته ••• تستطيع القول بأنني أحاول أن أفهمك •

هـو : هذا بالضبط ما أريده•أريد أن نتفاهم• يجب أن يفهموا أنني في لحظة ما ، اكتشفت بأنني لم أعـد أستطيع الاستمرار •• لم تعد بي طاقة •• استنفدت •• هذا كل ما هنالك•••

أنـا : أنت تبحث عن مبرر•••تريد أن تقنع نفسك قبل أن تقنع الآخرين •••

هـو : أبداً • أحس كأنني أريد أن أنتقم • شيء ما أطمح الى تهديمه • أتدري ؟ (هامساً) ليس كل ما رويته صحيحاً • ثمة أشياء كذبت في الحديث عنها بشكل ما•خذ مثلاً عندما أرادوا قتلي • لما اسندوني الى الجدار (بخطورة) كنت خائفاً • وكنت أوشك أن أتوسل • الموت شيء لا يحتمل • والحياة جميلة••جميلة•• لن يدرك ذلك الا شخص مقدم على الموت •• حين تحس فجأة أنك موشك أن تلغى ••اف• ان ذلك لا يمكن تصديقه • العدم • هكذا :

مكتبة الفكر الجديد

لا شمس ·· لا هواء ·· انما ·· كيف يمكن تصوير الأمر ؟·· اف · ان الحياة جميلة جداً ·

أنـا : ومع ذلك ، فانك ستموت ··

هـو : (صارخاً) لا ··· لا أريـد أن أموت ··· (يعود الى نفسه) آسف · يكون الموت محتملاً حين تحس أن لا مناص لك منه · كل ما عليك أن تستسلم ·· وستكون القضية بسيطة · ألا ترى ··

أنـا : أكان موته ··· هذا القتيل ··حين قتلته أكان موته بهذه السهولة ؟· هـل خطر لك هـذا السؤال وأنت تلعب واياه لعبة الموت ؟

هـو : كنت أقتل نفسي · صدقني ··

أنـا : هـراء ··

هـو : صدقني · قلت لك · كنت أحس أنني أموت معه بطريقة قاسـية · وتلك بعض نظافتي · أتدري ؟ لقد أقنعني ذلك بأنني مازلت أحتقر سقوطي · لو استطعت حسب أن أتجاوز ذلك ··· أن أبرره تبريراً كاملاً ، بحيث أخرج لساني للجميـع ·· لحاجتي الى فهمكم ··· لقسوتهم ·· للعدالة التي يتذرعون بها ·

(لنفسه) كنت أضغط على رقبته · وكان مطر ما يسقط في مكان مـن روحي ·· مطر

مكتبة الفكر الجديد

ولذة · لحظة تعدل السقوط والخيبة واليأس ··
كانت الحياة تنخر في صدري ··· آه ··· إه
·· كنا بدائيين مثل الخطيئة الاولى ··
وصوته · اع ··· خ ·· خ ··· وعندما
انتهى كل شيء ·· أحسست بالراحة ··
وكففت لحظة عن الهرب ··· (يخاطبني)
هل تدري ؟

أنا : ماذا ؟

هو : ليس الهرب سهلاً · انه أيضا ، وبشكل ما ،
نوع من البطولة · انه ليغريك أبدأ بالتوقف
والاستسلام ·· ولكنك تظل تركض بحكم
الاستمرارية (الى الناس) اسمعوا كيف تم
اعتقالي ·

صوت : لا نريد أن نسمع ·

صوت : هش ·· لقد جئنا ·· فيجب أن نسمع حتى
النهاية ··

صوت : هش

(محل في شارع عام ·· (هو) يتحدث الى
صاحب المحل ·· يبدو صوته وكأنه استمرار
للصوت السابق) ·

هو : لا بد من أن تتدبر لي مكاناً ·
(وجه صاحب المحل شمع ·· عيناه ضائعتان)

مكتبة
الفكر
الجديد

صاحب المحل : أقول لك لاأستطيع ·· لا مكان عندي ··· خذ (يخرج نقوداً) ·

هـو : (للناس) أصبح حاقداً بشكل شرس ·· كان واضحاً انـه لولا الخوف لخرج ووشى بي ·· ولانه كان خائفاً بهـذه الطريقة الكريهة ·· ولانه حاول أن يشتري نجاته مني ·· أصبحت قسوتي عليه تلذ لي ·

كنت قد أويت الى منزله مرات عديدة ·· وتذكرت ملامح زوجتـه ، وأولاده ، وطعم الفطور ·· ورائحة صابون الغسيل في الملاءات الجديدة التي وضعت على سريري ·

ـ لا تخف ··

ـ هه ·· يقول لي لا تخف !

ـ تدبر لي مكاناً لأسبوع فقط ··

ـ لأسبوع ؟!

ـ حسناً ليومين ··

ـ لا أستطيع

متعب ·· متعب ·· جائع ·· منذ ثلاثـة أيام لم أذق طعاماً ·· طال شعر لحيتي ·· أنظر فجأة الى وجه صاحب المحل المكتنز ·· وأحس أنه غريب جداً ومعاد ··

ـ أنت ترى أن وقوعي بأيديهم ·· ليس من مصلحتك ·· نظر الي بدهشة · ورآني لاول مرة ·

مكتبة الفكر الجديد

ـ يا أخي ..

قالها بكراهية . واستطرد :

ـ اسمع . عُدْ بَعدَ ... أو .. لا .. أعطني .. اسمع ...

ارتبك .. قام فاتصل بالتليفون .. بحث في جيوبه .. وخرج الى الشارع ... عاد ... قال كلمات لا معنى لها .. ابتسم .. وأخيراً هتف بي :

ـ تعال معي .

ركبنا سيارته . أوضح لي بسرعة :

ـ انها عيادة طبيب في شقة نشترك بها ...

لم أسأله بماذا يشتركان ... قال :

ـ سأتركك هناك.. تستطيع البقاء حتى الخامسة... الطبيب يأتي الى العيادة عنـد ذاك .. وعليك أن تغادرها .. فهمت ؟.

استدرك :

ـ الفراش يأتي قبل الخامسة لتنظيف العيادة.. يجب أن تغادر حوالي الثالثة ... في الثالثة اترك العيادة .. هـا ؟

ـ حسناً ...

الساعة العاشرة ...

(الشقة تطل على شارع... غرفة الانتظار للرجال ... غرفة الانتظار للنساء .. غرفة المعاينة .. غرفة

مكتبة الفكر الجديد

أخرى فيهـا ثلاجة وسرير ·· ومرآة ·· ومصباح ·· ومشط ·· وآلة حلاقة كهربائية و ····)

··· الراحة ·· والطمأنينة ·· لا بد أن أكف عن الركض ·· الهرب الآن الى أيما قـدر من الراحة والطمأنينة ···

عند ذلك يأتي الجوع ·· والتعب ·· والنعاس ·· والظل ·· والابواب الموصدة من الداخل· افتح الثلاجة ··· وعاء فيه زيتون ·· أكلت واحدة ··وعاء فيه جبن معلب ·· ذقته ·· خمس تفاحات ·· زجاجة ويسكي ·· قناني صودا ·· علب أدوية ···للغرفة رائحة اليفة مدغدغة ·· وللسرير نداء الراحة ·· والستائر مسدلة ·· وجريدة عتيقة ، أشيح عنهـا ، ويلاحقني عنوانها الاحمر ···

الجوع ··

أقوم ·· افتح الثلاجة من جديد ··· بضع حبات من الزيتون ··· قطعة من الجبن ·· مجة من زجاجة الويسكي تسيل في حنجرتي وتحرقها ··· تفاحة ··· تفاحة أخرى ···

أذهب الى المرحاض··اغتسل···رائحة الصابون·

الساعة الحادية عشرة

تمددت على السرير ·· قلت في ذهني لن أفكر بشيء ··· ورحت أرددها : لن أفكر ··· لن أفكر ··

مكتبة الفكر الجديد

لن أفكر (وبدأت أتنفس بانتظام) لن أفكر ·· لن أفكر ··· لن أفكر ·· لن أفـ ·· لن ·· ر ···لن ·· ر ن ·· كر ··· ن ·· ر ··· ن ··· ر ··· ·· ··· ·· ر ··· ·· على جبـل كله ثلج .. والريح زرقاء ··· انزلـ ·· ق ·· فرررر ··· واسقط على ريش ·· الزغب علق في شفتي ·· ثم جاء من النوافذ ماء كثير كدر ·· وبدأت أسـبح ·· وظل الزغب على شفتي ·· وأنـا أسبح ·· والعتمة تقترب ··· اسبح والعتمة تقترب··وعلى الساحل أناس بأيديهم فوانيس ··· وبدأت أبتلع الماء···وحملتني موجة الى أعلى··

انقلبت ··· لن أفكر بشيء ··· لن أفكر ··· لن ··· ن ·· بـ ·· أبي يتعشى ·· يمضغ الطعام كثيراً يسقط فتات من فمه ··· أنـا جائع ·· وحزين ·· ومضطرب لان أبي لم يقل لي : تعال وكل معي ···

ـ لماذا تبكي ؟

ـ لانه لم يقل لي تعال وكل معي ·

ـ هش · انه ميت ·· لا يصح أن تأكل مع الموتى ·· وأعطتني ثديها·لحم الثدي يغطي فمي وأنفي ··

ـ خ ·· خ ·· اختنق ··

افتح عيني ·· السقف أبيض··تخرج منه مروحة ··تساءلت أين أنا··ثم جاءت الصورة دفعة واحدة ·

(أصوات مسرعة ·· حتى لتكاد تتداخل) ·

مكتبة الفكر الجديد

صوت الرجل ٢ : اسلكوا الزقاق ..
صوته هو : تعالوا

صوت المطر : صوت الرصاص .. صوت الموت ..
صوتها .

- قف
- أوف
- آه
- إه

(وجهه مرتخ .. عيناه نصف مغمضتين ... ندىً يتساقط فوق قلبه .. تبدو العيادة مهجورة .. ويتخذ السرير والنافذة ... وكل شيء في الغرفة شخصية تراقبه) .

هـو : (الى الناس) بقيت في العيادة أسبوعاً . كنت اذا جـاء الفراش ، أهرع الى غرفة صغيرة مستعملة كمخزن فأختبىء هناك .. وأروح من وراء الباب أتنصت الى وقع الاقدام .. وسعال المراجعين ... بارداً ... جائعاً .. متعباً ...

وعند الثامنة . كان الطبيب يغادر العيادة ويطفأ الضياء .

(يطفأ ضياء المكان جميعه)

صوته : وتخلو العيادةوتصبح قبراً أتحركفيه كالأعمى

مكتبة الفكر الجديد

... أخاف أن أستعمل الضياء... أخاف من الحركة ... أخاف حتى من نفسي ... ومرة: بعد أن أطفيء الضياء بربع ساعة :

(يسمع صوت الباب وهو يفتح)

صوته : ذعرت . كنت عنـد باب الغرفة أكاد أدخلها لاستلقي على السرير ...

صوت الطبيب هامساً : انتظري سأشعل الضياء.. (تغمر العيادة بالضوء ... يبدو مدخل الغرفة ذات السرير... منظر باب المخزن يقابل الغرفة .)

الطبيب : تعالي

(تدخل فتـاة .. كلاهما يعبران المكان الى الغرفة ذات السرير ويبقى المنظر خالياً وتسمع أصواتهما فقط) .

الفتاة : انتظر ...

صوت ضحكة .. صوت الثلاجـة وهي تفتح (يخرج الطبيب ويقطع المكان متجهاً الى غرفة المعاينة ثم يعود وهو يحمل شيئاً . يجمد المنظر . يظهر هو عند باب المخزن .. ويتحدث) .

هـو : جائع .. يائس .. وخائف .. ووحيد .. ومع هذا فلقد أنصتُ بشغف الى ما يجري .. واشتقت الى المرأة.. أصبحت أحسها في مخبأي

مكتبة الفكر الجديد

ضرورية ·· كأنما أريد أن أبرهن شيئاً ··
حتى تأخر الليل (يطفأ الضياء) خرجا ···
وتركت من جديد الى الظلمة ···زحفت···
في الظلمة ··· وعثرت على رائحة السرير··
والبرتقال ··· والويسكي ·· والتبـغ ··
واللحم المشوي··وعلى الوسادة شممت رائحة
عطر نسائي ··· عطر انساني ·· لا خوف
فيه ·· ولا ذل ·· ولا نفاق ·· و

(يشعل الضياء ·· هو وحده في المكان وأنا)

هـو : (الى الناس) أقول لكم ·· ان الحياة جميلة
·· الضياع ·· الخوف ·· الهرب ·· الجوع
·· الألم ·· حتى الذل ·· وتبقى الحيـاة
جميلة ··· صدقوني ·· ان احساساً كهـذا
يمكن أن يدفع المرء الى شتى أنواع الخيانات··

صوت : يا حقير ···

هـو : حتى مع الحقارة ··· يا صاحبي··حين تحس
احساسي ستكون متجاوزاً لكل هذا··وستقول
لنفسك يكفيني أنني أعيش ·· لـم ألغ ··
فتغدو أيما دودة على هذا الكوكب أكثر جدارة
مني ووجوداً ···

صوت : ولكن ماذا تريدون بكل هـذا ·· ان حديثه
خطر جداً ··· علام تعرضونه للبسطاء ···
أتريدون الترويج للخيانة ؟

مكتبة الفكر الجديد

لا ... لن يروج للخيانة أحد .. صدقني .. لن يملك أحد هذه الطاقة ... فالخيانة موجودة ... والافكار التي استفزك سماعها .. أفكار تخطر حتى للأبطال .. اصغ الي يا صاحبي .. حين واجهت الموت .. حينما خيرت بين الخيانة والموت جاء صوت وهتف في أعماقي ـ افعلها أيها الغبي ... أليس ظلماً أن تكون ميتاً في الوقت الذي يمتلىء فيـه العالم بالحمير .. والحشرات .. والنمل .. تصور .. ستموت .. وكل هذه المخلوقات ستكون مؤهلة لأن تعيش .. لا يحاصرها خيار البطولة والخيانة ...
(ضحك)

تضحكون ؟ لا بأس . أنتم لم تمارسوا بشاعة التجربة . الخيانة صعبة ... قبيحة .. هذا صحيح .. ولكنني وجدت الموت أقبح وأصعب منها ... ماحيلتي ؟ (يخاطبني) لن يصدقوني .
لماذا ؟

لأن الخيانة تكون أحياناً كالموت صعوبة ... بل لعل الموت يبدو حينذاك أهون (يقاطع نفسه ويخاطب الناس) اسمعوا . نحن صنعنا الخيانة (يصرخ) لولاكم لما كان ثمة خيانة أو بطولة .. (ينكفيء على نفسه ويبدو كأنه يبكي) .

مكتبة الفكر الجديد

أصوات : انه يبكي ... لماذا تبكي ؟... ليس عدلا أن تستدر عطفنا ببكائك ..

هـو : (يرفع رأسه) لا مناص ... أنا محكوم علي ... ان يأسي يعادل الساعة موت العالم بأسره ومع هذا فلا أريد أن أموت ... أما من طاقة تقنعني على قبول الموت ؟ تلك هي المشكلة .. ان البطل هو من يملك القابلية على اجتياز هذه الحافة ، بحيث يصبح الموت لديه سهلاً .. يصبح أسهل من الخيانة (يصرخ) ألا تفهمون؟!

صوت : بلى .. لسنا نفهمك ..

هـو : (منتفضاً) أنت الذي تحدثت .. تقدم .. (لا يتحرك أحد) قلت لك تقدم (صمت .. لا أحد يتحرك .. تطوف عيناه على الحشد) لا أحد (يضحك بسخرية) جبان ..

صوت : فليتقدم الذي تكلم .. لماذا يترك لهذا الحقير أن يصفنا بالجبن .

صوت : هيا تقدم ...
(يتقدم أحد الحاضرين .. شامخ الوجه يسير بقوة . وسيدعى منذ الآن الرجل الشامخ) .

الشامخ : ها أنذا ..

هـو : حسنا .. اصعد الى هنا (يصعد) والآن لماذا ترددت .

مكتبة الفكر الجديد

الشامخ : لم أتردد ... فلم أكن أنـا الذي تكلم ..
لا يهم . افترضني أنا المتكلم .. وقل ما تريد
.. ها أنني أكرر عنه..اننا لا نفهمك ...
بمبرارتك ...

هـو : وعذابي ؟

الشامخ : عذاب الخونة ..

هـو : (يتفرس بالشامخملياً) هراء...وتجربتي؟..
أفأنت واثق من أنك تطيق تجربتي ؟

الشامخ : سأطيق تجربة نفسي ... أنت لا تستطيع أن
تخيفني .. وانني لاتحداك ...

هـو : تتحدى ؟

الشامخ : أجل ..

هـو : الى النهاية ؟

الشامخ : الى النهاية ..

هـو : أيهـا الغبي .. كيف تستطيع أن تقرر ذلك
مقدماً ... فكر جيداً ... تستطيع الآن أن
تتراجع اذا أردت...أما بعدئذ فيكون الوقت
قد فات ...

الشامخ : لن أتراجع ...

هـو : يا للسخف .. يجب أن يكون لك قضية تصمد
لها ... يجب أن يكون للخائن شيء يخونه..
والا .. كيف أصور الأمر (بفرح) انتظر

مكتبة
الفكر
الجديد

لحظة (يخاطبني) ستكون القضية عادلة حقاً ·· رهاناً ·· هل يسمح لي بذلك ؟

أنـا : بماذا ؟

هـو : أن أدخل الرهان على تحديـه · ستكون اعادة للقضية مرة أخرى (تظهر صـورة القتيل) ستكون أكثر قابلية على الفهم (يخاطب الشامخ) أنت لست خائناً ·· أليس كذلك ؟·· حسناً ·· سأضطرك على ذلك ·· سأضطرك على أن تعلن أنك خائن ملء فمك ··· أن لم تقل ذلك ستموت ···

الشامخ : (يضحك)

هـو : (بصبر) تختار العناد ··· تلك هي اللعبة ··· لا بأس انما أجبني ··· ألم تخن مرة واحدة في حياتك ؟

الشامخ : بلى ·· لم أخن ··

هـو : العناد !!· حتى أمـام نفسك ؟ لم تفكر مرة بالخيانة ···

الشامخ : أبداً ···

هـو : سأصدقك ·· فذاك أحسن ·· من الأحسن أن تبدو نظيفاً · والآن انتبه جيداً (بصوت خطير) القضية بهذا الشكل ·· سأضطرك الى اعلان خيانتك أمام الجميع فان قلت ذلك نجوت··· والآن ·· اهرب ···

مكتبة الفكر الجديد

الشامخ : اهرب ؟ لماذا ؟

هـو : هكذا اللعبة ... اهرب لعلك تنجو .. الهرب بعض شروط التحدي ..

الشامخ : لن أهرب .. سأبقى وأتحدى !

هـو : هراء .. انك في هذه الحالة تهرب من الهرب ... ماذا تتصور؟ أتحسب الهرب شيئاً تافهاً ... انه بداية المعاناة ... اهرب ...

صوت الرجل : اسلكوا الزقاق وسيقودكم الى الشارع ... (لنفسه) أما أنا فسأهرب بعدهم ...

(تلتبس منذ الآن شخصية الرجل الشامخ بالقتيل الذي هـو الرجل .. حتى في الموقع داخل الصورة بحيث يتبادلان الاماكن داخلها بشكل لا يلفت الانتباه) .

الرجل الشامخ : كل ما عليكم هو أن تنسحبوا ... هيا بسرعة .. (ظلام تسمع أصـوات انفجارات واطلاقات . وصراخ .. « قف .. ارفع يديك .. امش ... آه ... » خُطب .. هتافات بلغة غير مفهومة ... ثم فجأة .. صوت صادر عن مايكرفون .. نفس الصوت الذي سمع في البداية) .

صوت المايكروفون : التفتوا الى الخلف جميعاً .

(الناس يلتفتون ببطء أيضاً ... فلا يرون شيئاً في الوهلة الاولى .. ثـم لا يلبثون أن

مكتبة الفكر الجديد

يتبينوه (هو) وحده أمام الجمهور ·· صورة القتيل مجرد إطار فارغ···القتيل الآن ليس قتيلاً ··· مرة ثانية يمكن أن نسميه الرجل الشامخ) ·

هـــو : باختصار ·· القي القبض علي ··· انهرت ··· تعاونت أما هـــو ·· فهرب ·· وظلوا يسألونني عنه ··لقد كانوا يخافونه···حتى لقد حسدته ·· ولذلك اعتبرته قضيتي·كان السؤال هكذا · اذا اصطادوه ·· أفيخون أم لا ؟ في أعماقي كان الصوت هكذا : لن يفعل·· سيفعل ·· لن يفعل ·· لن يفعل ·· لن · أستيقظ من نومي مذعوراً ·· ويأتي الماضي يأكلني · وفجأة :

صوت : قم · لقد القينا القبض عليه
انقسمت توأ الى اثنين

أنا فرح	أنا حزين
أنا منتصر	أنا مخذول
سيخون	لن يخون

وهرعت·ومن النافذة كنت أيضاً شخصين··· كلاهما يعذب صاحبه ·

(يبدو الشامخ في زاوية من المنظر جالساً على صفيحة ·· دمه يسيل على وجهه ···· في

مكتبة الفكر الجديد

الزاوية المقابلة يبدو (هو) أيضاً جالساً على صفيحة والدم يسيل على وجهه ... ومن مكان مبهم يبدو صوت ما خافتاً في البداية وحين يتكرر يرتفع تدريجياً ثم يغدو في النهاية غير محتمل . وعدا هذا فان الصوت يعطي انطباعاً يشبه وقع الضربات على الاثنين بحيث يكون رد فعلهما واضحاً .. كاتقاء ضربة .. أو أو الخضوع لها ... آثار الصوت تتجسم مادياً على وجهيهما ... كدمات ... جراح ... دم ... حتى اذا أوفى الصوت أقصاه يكون وجه الاثنين غارقاً في الدم ... ويمتلىء المكان بضجيج وصوت موسيقى ... ثم ينقطع فجأة .. ويعقبه مباشرة صوت صرخة وحشية مبهمة ... ويطفأ الضياء ... ظلام) .

صوت : هـا ؟

(المنظر لـ (هو) وحده .. ويختفي الشامخ في الجهة المقابلة) .

هـو : أجـل .

نفس الصوت : أجل . ماذا ؟

هـو : أفعل ما تريدون .. لا أريد أن أموت ..

نفس الصوت : اذن ..

هـو : سأفعل ما تريدون ..

نفس الصوت : تخون ؟

مكتبة الفكر الجديد

هـو : أجل !
نفس الصوت : قلها ..
هـو : (بعذاب أخير) ماذا أقول ؟
نفس الصوت : قل أخون ..
هـو : أخون ..

(يطفأ الضياء .. موسيقى هادئة تذكر بالنسائم والحقول وروائح البيت والطعام والسرير والمرأة... ينار قسم من المنظر... هو وحده يتكلم بتعب)

هـو : بعد ذلك .. أنتم ترون .. لا بد أن يصبح الامر سهلا .. ومنطقياً .. شيء واحد بقي يعذبني .... هناك .. (يشير الى الزاوية المقابلة فتنار ويُرى الشامخ حيث كان) كنت ازاءه اثنين مرة أخرى .. واحد يعذب والآخر يتعذب .. وكل ذلك يجري مرة واحدة ... أتدري ؟ (يلتفت وكأنه يبحث عني) والآن أين أنت ؟

أنـا : (من بين الناس) هنا .
هـو : تخليت عني ؟
أنـا : من هنا يمكن أن أرى بشكل أكثر وضوحاً ... يجب أن أكون على بعد كاف لأرى جيداً .. قل ماذا .. قله لنا جميعاً ...
هـو : (وكأنه يتحدث الى نفسه) انني مرتبك تماماً

مكتبة الفكر الجديد

.. مرتبك وكأنني أوشك على خيانة جديدة (للناس) ألا ترون ؟.. ان الخائن لا يمكن أن يخونه تماماً .. هكذا : أن يكون خائناً مئة بالمئة .. صدقوني .. ان جزءاً منه يبقى دائماً متمرداً ... وهذا بعض عذابه ... والمشكلة .. أن هذا الجزء مرتبط بكم دائماً .. وأنتم ازاءه هنا .. ولهذا فهو يشعر بذلة عميقة .. يشعر بالنفي .

صوت : أليس الموت أهون ؟..

هو : ولكن هذا ليس عدلاً..انك يا صديقي تسأل بطريقة مهملة وقاسية جداً .. أود أن أقول لك فتصدقني انني حين فكرت بالموت .. حين خيرت بينه وبين الحياة .. أحسست أن الموت أكثر الاشياء ذلة ... ليس ثمة ما هو أذل من الموت ...

صوت آخر : هراء .. كثيرون وجدوا الموت سهلاً ... فماتوا أبطالاً ...

هو : لا أدري .. اسمع يا سيدي ... في القوانين ثمة نوع من الجريمة يعد أخف على مرتكبيها لنقص المسؤولية .. لا تغضب .. يلوح لي أحياناً أن الذين قبلوا الموت لم يكونوا بكامل مسؤوليتهم .. بالضبط كمن يرتكب القتل في ساعة هياج ... أريد أن أقول : أن الذين

مكتبة الفكر الجديد

تذكرهم ربما ، لم يحسوا ساعة موتهم عمق الذلة في الموت ٠٠ ألا يمكن ذلك ؟ والا (بوحشية) فلماذا ماتوا ٠٠٠ أريد أن أقتنع بالطريقة التي يمكن للانسان فيها أن يقبل الموت ٠٠ يختاره دون أن يكون منتحراً بشكل ما ٠٠٠ ومع هذا فالانتحار يبدو بحاجة الى شجاعة من نوع ما ٠٠٠ ينتحر اليائس ٠٠٠ والمجنون ٠٠٠ وليس ثمة من حيوان ينتحر ٠٠٠ ألا ترون ؟ انك لن تكون بكامل انسانيتك حين تختار الموت ٠٠ ثمة شيء مضاف اليك ٠٠ أو مطروح منك ٠٠ ثم كيف يمكن الفرار من حقيقة أن الحياة تعاش مرة واحدة ٠٠ فرصة واحدة ٠٠ (بحزم) لهذا رفضت الموت ٠٠٠ لا أريد أن أموت ٠٠٠

صوت : من مكان مبهم : حسنا قل لنا اذن ٠٠٠

هـو : (بطاعة ولهفة) أقول ٠٠٠

نفس الصوت : قل كل شيء ٠٠٠

هـو : (بآلية) كل شيء ٠٠٠

هـو : سأفعل كل شيء ٠٠٠ (لحظة) لدي اقتراح (ينتصب ٠ منذ الآن يتحدث بطريقة جديدة) لدي اقتراح (مشيراً الى الشامخ) اتركوه لي ٠٠٠ أمهلوني خمسة أيام وأنا كفيل ٠

(الى الناس) حدقوا الي بطريقة منتصرة ٠٠ ٠٠ تغاضيت عنها ٠٠٠ وبعد قليل قالوا :

مكتبة الفكر الجديد

حسناً ٠٠ انما خمسة أيام ٠٠٠ خمسة فقط ٠٠٠
وقلت في نفسي ٠ ها أنا أصبح بطلاً في خيانتي
ورحت أقول لهم شروطي بدالة غريبة :

ـ أتصرف بحرية ٠٠
ـ تصرف ٠٠٠
ـ لن يتدخل أحد بما أفعل ٠٠٠
ـ لن يتدخل ٠٠
ـ لن يقربه أحد ٠٠
ـ لن ٠٠٠
ـ وتعطوني ما أطلب ٠٠
ـ نعطيك ٠٠٠

وابتسموا ابتسامة هامة ٠ وقال أحدهم وكان
أشد شراسة :

ـ وان لم تنجح ؟
ـ سأنجح ٠
ـ وان لم تنجح خلال خمسة أيام ؟
ـ ٠٠٠
ـ سنقتلك ٠٠
ـ لا ٠٠٠

ابتسموا جميعهم وقالوا بخفة :

ـ انه يمازحك ٠٠
ـ ولكنني سأنجح صدقوني ٠٠٠
وامتلأت بالتحدي ٠٠٠ كنت حاقداً ٠٠٠

مكتبة الفكر الجديد

وكأنني اذا ما نجحت انما أبرهن على أن الكون جميعه ســاقط في الخيانة ... أتحدى ... أتحدى ... (يُنار المكان باضاءة قلقة .. بحيث تلتبس الرؤيا .. ويورث التحديق المستمر التعب ... ومع هذا يُرى القتيل الى اليمين في زنزانة ... (هو) من مكانه يتحدث الى الناس ..)

هــو : تهيبت الاقتراب .. كمن يقترب مــن ماض ابتعد عنه .. كمن يقترب مــن جسم يحمل مديتي .. ولفترة خيل لي بشكلَ ما أن وراء ملامحه المدماة وجهي .. وأصابني الرعب ... واقتربت ... اقتربت بحيث بدا لي أنني لا أكاد أعرفه .. ومرة أخرى أحسست الرعب ... رفع الي عينيه .. ثم أطرق .. ولم أجد شيئاً أقوله .. واندفع الى حنجرتي حزن مفاجيء ... وبــدا أنني موشك على البكاء بالرغم مني ... (في نفسه) لن استسلم للحزن ... المشكلة كيف أبدأ ... هــل أقول له صباح الخير ... أناديه باسمه (يقترب) الاحسن أن أتحدث مباشرة (بصوت مرتفع) مؤسف أن نلتقي بهذا الشكل .. (صمت) وباختصار لا بــد أنك سمعت أنني أتعاون معهم ولقد كلفوني بأن ... (يتلعثم) ولقد أوكلوا الي أن أحملك على ... (يتردد) أن تفهم (لنفسه)

مكتبة الفكر الجديد

لست جديراً بهذه المهمة ·· ولكنني بدأت·· ويجب أن أستمر (بصوت مرتفع) بصراحة أنهم يريدونني أن أحملك على التعاون (مرتبكاً) لا أدري كيف أتحدث اليك·· أرجو أن تفهمني ·· ان لم أنجح ··· فسيقتلونني ·· صدقني ·· أدري بأنك تأنف أن تتحدث الي وأنت محق·· لقد خنت ·· انما لقد خنت نفسي قبل كل هذا ··· وها أنت ترى ··· آه لو تعلم أي عذاب أعاني ··· (يصرخ) والآن قل شيئاً ·· فنحن يمكن أن نتفاهم ··· فأنا ما زلت صديقك (بهمس) ولن أحملك على أي شيء ·· سأحميك (يقترب) سأساعدك على الهرب·· ها ؟ ألا تصدقني ·· اسمع يمكننا أن نهرب معاً ·· ولكم أن تتصرفوا بي ··· (لحظة) والآن تكلم ···

القتيل : (بعنف) نذل (يبصق في وجهه) ·

هـو : (للناس) ناشتني البصقة في عيني ·· جاءتني بشكل لم أتوقعه ·· في لحظة كنت فيها صادقاً ·· من يدري ؟ لعله لو وافقني ·· لو أحسن استغلال ضعفي لدخلت التجربة بحماسة ··· لم أمسح بصقته عن وجهي ·· تركتها تسيل متشفياً بنفسي وبذلتي ·· وغضبي ·· وفي نفس الوقت حاولت أن أجعله ينـدم ·· أن

مكتبة الفكر الجديد

تؤثر فيه مسكنتي وأنا أمامه هكذا ·· منكس الرأس حزين ·· وكان علي أن أحزن بصدق ورحت أردد في نفسي « أنني مظلوم ·· مظلوم ·· ليس ثمة من هو أكثر مني سوء حظ ·· ليس ثمة من هو غريب ·· ولا حول له مثلي ·· أنا وحيد ·· معتدى عليه أنا انسان مسلوب لا يفهمه أحد » ··· وتذكرت يوم مات أبي ·· وطردني عمي ·· ويوم خذلتني فتاة وقالت لي انها لا تحبني ·· ويوم اعتقلت ·· وساعة قلت بوضاعة :

ـ أفعل ما تريدون ···

ـ تخون ؟·

ـ أجل ··

ـ قلها ··

ـ ماذا أقول ؟·

ـ قل أخون ··

وحزنت حزناً شديداً ·· بكيت ·· بدأت أبكي بهدوء أولاً ·· وكانت لذتي بحزني تنمو ·· وتتزايد حتى ارتفع صوتي ، وكنت أدرك أنه يسمعني ·· ويراقبني وكنت بحاجة قصوى لأن أجعله يتأثر لي ·· أن ينحاز لحزني ·· وكان خوفي من أن أفشل يزيد من شدة انفعالي ·· فازداد بكاءً ··· ولم يدم انتظاري طويلا ·· فقد سمعت صوته ··

مكتبة الفكر الجديد

القتيل : حقير ...

هـو : (من خلل بكائه) أجل أنا حقير ... سمني ما شئت ... ولكنك لا تدري أي عذاب أعاني ... اسمع ... حذار أن تضعف ... أصمد ... والا فالخيانة عذاب لا يحتمل ...

القتيل : لست بحاجة الى نصائحك ...

هـو : أجل ... يالغبائي ... (يبكي) ..

القتيل : وكف عن البكاء ..

هـو : (بآلية ومطاوعة) اكف عن البكاء ... (يرفع رأسه ويحاول ضبط نفسه) ها أنا أفعل .. انما شيء واحد أطمح اليه .. لا تعاملني بهذه الطريقة (يتهدج صوته) والآن ها أنا أبكي من جديد .. لن أفعل (يتمالك) لقد كنا أصدقاء ... من أجل تلك الصداقة حاول ألا تحتقرني ... فأنا لا أطيق احتقارك .. أنت بالذات .. لانني أعتبرك الحكم الوحيد الذي أستطيع الاطمئنان اليه ... لك أن تحكم علي .. قل ما شئت ... لست أخاف ذلك ... ليس هذا الذي أدافعه ... انني أخاف الحكم من الخارج .. لان في ذلك القسوة الكاملة . أوه .. كيف أصور لك الأمر ... لست سيئاً .. ولا ميؤوساً مني الى هذا الحد ... حاول أن تصدقني .. جرب ذلك ... حاول أن تقول لنفسك بأنني

مكتبة الفكر الجديد

مازلت نفس الشخص الذي كنت تعرف وتحب ... والا فكيف يعقل أن أتغير ... أن أصبح انساناً آخر هكذا فجأة ...

القتيل : (بحزم) اسمع . ماذا تريد ؟

هـو : أن تفهمني ..

الشامخ : (بابتسامة واثقة ... ولكن التعب واضح فيها) كيف ؟

هـو : بألاّ تكون قاسياً . بأن تضع نفسك موضعي .. أوه ياله من تعبير سخيف ...

القتيل : انني موضوع مكانك كما ترى ...

هـو : (بحيرة) أجل . أنت موضوع في نفس موضعي (لحظة) حسناً .. انني أسألك .. ألست .. ألست خائفاً ؟ . حين اعتقلت ؟ . حين أتوا بك الى هنا ؟ ... الآن ؟ . ألم ينتبك هذا الخوف المنغّص الذي يأكل القلب ؟ (بسرعة) انقلت لا .. فأنت كاذب ... (ضحك بين الناس) .

هـو : (مستمراً) ألست خائفاً ؟ . ألم تخف ؟ أجبني بصدق .. أرجوك .. ارحمني .. حتى قبل اعتقالك ألم تفكر في موقفك هذا ، وأحسست الخوف ؟

القتيل : بلى ..

هـو : رائع .. عظيم ... لقد عرفت دائماً أنك

مكتبة الفكر الجديد

ستفهمني ... وكنت واثقاً انك لا يمكن أن تكون قاسياً مثلهم ومكابراً ... وانك مثلي الآن تخاف .. ولكن انتظر .. ليس دائماً . ولقد كنت أخاف حين كان ثمةمتسعللخوف.. والمشكلة أن الانسان حين يهرب ... أو يقتل يصبح وقته..كل وقته خوفاً يجب أن ينتصر عليه..أنت الآن لم تنتصر علىخوفك بعد... أوه .. لا تغضب ...

القتيل : (ساكتاً) .

هـو : ليس عليك أن ترد على أسئلتي السخيفة ... انني أدرك ذلك .. وانني لواثق الآن من صراعك المرير ... ألا ترى ؟. تلك هي قيمتك..لو لم يكن ثمة خوف يملأ صدرك.. وثمة قوة لصراع هذا الخوف .. فأيما فضيلة لك .؟ لو تدري حسب كم أنا سعيد لأن أقول ذلك .. لأن أقوله لأحد يسمعني .. لك أنت بالذات .. والآن يا لغبائي...ها أنا أتحدث اليك ... وأنت أمامي جريح .. مقيد ... اسمع ... دعني أضمد جراحك ...

القتيل : أبـدأ ...

هـو : يا صديقي .. لن يضيرك ذلك .. سأضمد جراحك ... وأفك قيودك..أستطيعأنأفعل ذلك ببساطة وهم سينفذون كل ما أطلبه

مكتبة الفكر الجديد

(يبتسم بمهارة) لان ذلك ضمن شروطي ..
يالها من قضية مضحكة (يضحك) تصور لقد
راهنت على أن أحملك على التعاون معهم ..
ولهذا فسينفذون كل ماأطلبه..(يتقدم منه).

القتيل : ابتعد .. لا تلمسني ...

هـو : والآن طاوعني .. لن تخسر شيئاً في تضميد
جراحك .. ولن يكون لذلك أي مقابل ...
لنستطيع فحسب أن نتحدث ..

القتيل : أبداً .

هـو : تخاف . ألا ترى ؟ انك تخافني أنا أيضاً ..
تخاف حتى مساعدتي ..

القتيل : لست خائفاً.ولكنني أرفض منك أي خدمة ..
أي صنيع ... لانك عدو ..

هـو : عدو ؟

القتيل : أجل . وعدو بشكل خاص ..

هـو : انظر لقد أصبحت قاسياً .. والقسوة وجه من
وجوه الخوف . عجباً.انني أريد مساعدتك .
اسمع (يقترب منه) دعني أقل لك شيئاً آخر
... انما لاتفسره أرجوك تفسيراً خاطئاً...
(يهمس) أتدري ؟ انهم بعد خمسة أيام ان لم
أنجح في حملك على التعاون معهم سيقتلونني؟

القتيل : سيكون ذلك أجدى .

هـو ألن يحزنك ذلك ؟ (مستدركاً) لن تحزن طبعاً..
يالفظاعة ذلك ! ومع هذا اصغ الي جيداً ...

مكتبة
الفكر
الجديد

لن أسمح لهم بقتلي (لحظة) ولا أن ينالوا منك (هامساً) سنهرب ...

القتيل : (يضحك بسخرية) نهرب ؟

هـو : صدقني . نستطيع أن نهرب أنا وأنت ..

القتيل : هيا .. جرب لعبة أخرى ..

هـو : والآن ها أنتذا تشك في كلامي .. ألا ترى ؟ ان مـن مصلحتي أن أجعلك تهرب ... وأن أهرب معك ...

القتيل : اذن فاهرب وحدك... لماذا لم تهرب وحدك..

هـو : لأنني يجب أن الجأ اليكم .. لا مكان لي للهرب منهم سواكم ... ألا تفهم ؟

القتيل : لعبة مكشوفة .. لن تستطيع خداعي ...

هـو : ولكن لماذا ؟

القتيل : أنت تجرني الى كمين ... قد نهرب حقيقةً ولكنهم سيكونون في أثرنا ...

هـو : (مصدوماً) لم يخطر لي هذا ... لم يخطر لي قط ... (بعد لحظة) حسـناً فلتهرب وحدك ...

القتيل : لا فرق ...

هـو : عجباً .. اتركني . واهرب وحدك.. ألا تريد أن تفهم ...

(محتاراً) ضـع الخطة بنفسك .. ضعها بالشكل الذي تريد ... والوقت الذي تريد .. وسأسهلها لك بنفسي .. ها ؟ ماذا تقول ؟

مكتبة الفكر الجديد

القتيل : لن أفعل ..

هـو : (بصدق) وتبقى معرّضاً لاحتمال أن تنهار ؟. (بحزن) لاحتمال أن تصبح مثلي ؟. ألا تقدر مبلغ ما أعرضه عليك من أهمية ؟.. (بقهر) لو كنت تثق بي حسب .. لو كنت أستطيع أن أسترجع ثقتك .. يالله ما أقسى ذلك.. اسمع .. ماذا أفعل لكي تصدقني ؟

القتيل : اخرج من هنا ..

هـو : مكابر ... مكابر... لن تكون بطلا بمكابرتك فكر .. أمامنا خمسة أيام فقط... ويجب أن تبت في الأمر ... ستكون أنت مسؤولاً .. فكر ... فكر ... (يطفأ الضياء... يسود ظلام يبعث على الريبة .. فترة صمت مشحونة ثم تعلو أصوات الناس) .

أصوات : ما الذي جرى ... لماذا أطفأتم الضياء ؟... عجباً. دعونا نطلع على ما يجري... قولوا لنا ان كان قد قرر الهرب .. كيف يهرب ؟ مستحيل ... واضح انه فخ ... ماذا تفعلون؟.. حذروه من الهرب ... لا حاجة. فليهرب ربما كان صادقاً في عرضه ... انها لحيلة .. هش ... أنيروا المكان .. ضوء..

(يرتفع لغط شديد يختلط بأصوات حياة يومية لا مبالية .. سيارات .. باعة .. أغان

مكتبة الفكر الجديد

٠٠ نشرات أخبار٠٠ثم يُضاء المكان فجأة ٠٠
يسود الصمت ٠٠٠ يُرى هو والشامخ) ٠

هــو : (هامساً) فلتكن على حذر ٠ وخذ هذا أيضاً
(يخرج مسدساً ويعطيه للشامخ) ٠

الشامخ : (يفحص المسدس) ٠
هــو : تشك بي ؟٠٠ ما أقسى ذلك !
الشامخ : (ببرود) لا بد من الحذر !

هــو حتى بعد أن أعطيتك المسدس ؟ انك تستطيــع
الآن أن تقتلني ٠

الشامخ : لن يكون قتلك الآن مفيداً ٠
هــو : ولكنك تستطيع اذا أردت٠٠٠أوه٠٠٠لاتجعلني
أندم على أنني تذللت لك بكل هذا القدر ٠

الشامخ : واثق أنت من الحارس سيكون عند المنعطف ؟
هــو : كل الثقة ٠٠ وتستطيع أن تتأكد٠٠٠ما عليك
الا أنتعبر بخفة ٠٠ وتجنب استعمال المسدس
٠٠٠ (لحظة) وتخل عن حذائك ٠٠ انزعه
٠٠ ألا تؤلمك قدماك ؟

الشامخ : قليلاً
هــو : لا بأس ٠٠
الشامخ : كم الساعة الآن ؟
هــو : الخامسة ٠ تستطيع الآن أن تبدأ ٠
الشامخ : والباب ؟

مكتبة الفكر الجديد

هـو : أجل ... يجب أن أفتح لك الباب (يتردد لحظة ويلتفت الى الشامخ) اسمع ..

الشامخ : ماذا ؟

هـو : لا شيء (بتردد) أقول ما الضرر في أن نهرب معاً؟

الشامخ : هيا لا تضع الوقت ..

هـو : سيقتلونني ...

الشامخ : (بيده المسدس) تستطيع أن تهرب بعدئذ ..

هـو : ولكن الى أين ؟.. لا مكان لي التجيء اليه . خذني معك أرجوك . سيساعدك وجودي .. سيسهل عليك الأمر ...

الشامخ : لقد ناقشنا هذا .. ورضيت أن تبقى .

هـو : أرجوك ... خذني معك .

الشامخ : (يقاطعه) أعطني المفتاح !

هـو : أرجوك ..

الشامخ : (يهدده بالمسدس) أعطني المفتاح !

هـو : لا تتهور .. قد تنطلق رصاصة ..

الشامخ : اذن لا تضطرني الى ذلك ..

هـو : لن تفيد من قتلي .. سيسمعون الصوت .. وسيأتي الحراس .

الشامخ : لن يهمني ... أعطني المفتاح قلت لك ...

هـو : خذني معك ...

الشامخ : (يتقدم) هات المفتاح ..

هـو : أتوسل اليك .. اذكر صداقتنا ..

مكتبة الفكر الجديد

الشامخ : المفتاح بسرعة ... سأعد الى العشرة ...
هـو : (يضحك محرجاً) لن تخيفني. أنت لاتستطيع قتلي ...

الشامخ : بل سأفعل (يبدأ بالعد) واحد ..
هـو : ستقتل أنت أيضاً ...
الشامخ : هذا ما أريده .. اثنان ..
هـو : سيعذبونك قبل أن يقتلوك.. والآن تروّ...
الشامخ : سأقتلك وأقتل نفسي .. ثلاثة .
هـو : لشد ما أحتقرك .
الشامخ : أربعة ...
هـو : لن أعطيك المفتاح .. عد الى الالف ...
الشامخ : بل ستفعل ... خمسة ..
هـو : لشد ما كنت مخدوعاً بك... أنت أسوأ مني.. خائن !

الشامخ : ستة ...
هـو : أنت أكثر خيانة ..
الشامخ : سبعة ..
هـو : لشد ما أنا سعيد ... خائن .. خائن ...
الشامخ : ثمانية ... عند العشرة سأطلق .
هـو : أطلق !
الشامخ : ستموت ...

هـو لا بأس .. أطلق (بهستيرية) . هيا أطلق النار يا جبان .. أطلق .. أطلق ...

مكتبة الفكر الجديد

(صمت ... تسمع صوت تكّة بسيطة صادرة عن المسدس .. تكة أخرى .. أخرى .. أخرى .... الشامخ يضربه بالمسدس فتطيش الضربة . (هو) يذهل . لحظة .. ثم يبدأ بالضحك ...) يا للنكتة ...

الشامخ : (مغلوباً) حقير ...

هو : نكتة لا مثيل لها .. تصور أيها الاحمق ..

الشامخ : نذل ..

هو : (مستمراً) تصور .. لقد خدعوني .. أعطوني مسدساً لا يعمل (يضحك وهو يتجه لالتقاط المسدس الذي على الارض) .

الشامخ : دعه (يهجم عليه ويدخلان صراعاً يضرب خلاله كل منهما صاحبه ، حتى يدمى وجهاهما ، وتتمزق ملابسهما .. ومن خلال كل ذلك يبدو واضحاً أن (هو) أقوى من الشامخ بدنياً رغم أن الشامخ يستمر في القتال وهو يشعر بقصور قوته) .

هو : (في النهاية ، وقد لوى يد الشامخ بحيث اضطره على الانحناء ، يدفعه صوب المسدس) خذه ... التقطه (يزيد من ضغطه على ذراع الشامخ) قلت لك التقطه . لا بد أن تفعل ... لا بد أن تقتنع بسخف لهفتك اليه (الى الناس) جهدت في اذلاله .. بهذه الطريقة ... دفعته

مكتبة الفكر الجديد

الى مواقـع العناد الصبياني لأجعله يشاركني الاحساس بأن القضية أحياناً تبدو سخيفة بهذا الشكل غير المصدق · وكنت كلما ازددت الحافاً عليـه بأن يأخذ المسدس ازداد هـو تصلباً واستفزازاً · شددت من ضغطي على ذراعه الى درجة أنني كنت أتوقع أن ينكسر في أية لحظة ·· وكان واضحاً انه يعاني ألماً قاسياً أحسسته يتسرب الي ويتضخم · كنت أعذب وأتعذب · وأخجلتني رغبتي في أن أكف · الا أن الألم في ذراعي وعضلاتي ، وأنا أزداد ضغطاً على ذراعه كان لا يحتمل · لقد كان ملمس جسمه تحت كفي بارداً وإنسانياً بشكل يدفع على الحنق · وتوسلت اليه في قلبي : «خذ المسدس وارحمني» فالعذاب الذي أعانيه صعب · ومضت دقائق · ربما أقل · انها في حساب احساسي بدت وكأنها زمن طويل · وحزنت لنفسي من جديد من أجل سوء حظي · قلت : هكذا اذن ؟ لا أنا انتصرت عليه ·· ولا على نفسي ·· وولد غضبي ··

هـو : (يدفع الشامخ) والآن خـذه ·· لقد أردته فخذه (صوته وحشي · وبه الكثير من اليأس المبكر) ·

(يسقط الشامخ على وجهه)

هـو : حين رأيته ساقطاً على الارض التمع في جسدي

مكتبة الفكر الجديد

احساسان ارتبطا بطريقة مريعة : احساس بعذابي ·· وإحساس بعذابه · وكنت في لحظة واحـدة أدرك أن علي أن أبتديء الآن · أن أتخلص من أحد الاحساسين · أن أقطع بينهما ، فأبدأ دوري وأكون جلاداً ناجحاً · جمعت كل قوتي وطوّحت بهـا في قدمي فأصاب حذائي رأسه وهو على الارض · وقبل أن أعطي لذهني مجال الاحساس بألم الضربة ··· ضربته ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ·· ضربته ·· ضربته حتى لم أعد أحس شيئاً ·· لست أدري حتى أغمي عليه · لأنني في الحقيقة لـم أكن أعي شيئاً ·· لـم أكن خائناً ·· ولا جـلاداً ·· ولا وحشاً إلا من زاوية واحدة ، هي أنني خلال كل ما فعلته ·· كنت وكأني أريد أن أتحول الى جلاد نفسي ··· ووقفت وسط الكون وحدي ·· وتطلعت اليه ، وفزعت · تراني قتلته ؟

كان منكفئاً على وجهه ·· خده على الارض ·· وخيط من دم يسيل من شفتيه · جاءت ذلة مفاجئة وسكنت أعصابي ، وتوسلت في نفسي وأنا أتجه اليه : أتوسل اليك لا تمت · لم أكن أدرك لماذا أتوسل بهذا الشكل ··· جسست معصمه · كان بارداً كالثلج ·· حركته ··· قلبته ·· ووضعت أذني على صدره ، وسمعت ، من خلال كل الضوضاء في داخلي ، صوت قلبه

مكتبة الفكر الجديد

ينبض. قلت في نفسي : شكراً. وهرعت أطلب المساعدة ...

جاءوا بطبيب على عجل ، فحصه وقال ببساطة :

ـ لا شيء ... صدمة قوية. (وهمس) لاتضربوه على رأسه ..

تطلعوا إلي بخطورة وقال أحدهم :

ـ هل فهمت ؟ حذار أن تقتله ...

كان صوته جاداً . ورحت أتلهى بالنظر الى الطبيب وهو يسعفه ...

حين خرجوا. أحسستني سجيناً بشكل ما... وشعرت بظمأ شديد . وقلت لنفسي : ومع هذا فلن أذوق الماء . لماذا ؟ لست أدري . كنت متعباً ، ومرتبكاً ..

لم يلبث أن أفاق . فتح عينيه وحين رآني ، حدق الي برهة ، وكأنه لا يتذكر شيئاً ... ثم أشاح عني . هتفت بعناد :

ـ خذ المسدس .

حرّك شفتيه . وخيل لي أنه يشتمني . دفعت بالمسدس اليه . وأنا أحس صبيانية سلوكي ، وقلت مدارياً هبوط مزاجي :

ـ أنت ترى اننا مخدوعون... لقد خدعوني.. وخدعتك .. وخدعتني . لا شيء يحتمل الآن الصدق أو الوضوح .

مكتبة الفكر الجديد

لم يرّد علي • بدا أنه قرر أن يلتزم الصمت فأفزعني ذلك • فأردفت بقسوة :

ـ والآن • يبدأ الجد • سأسألك فتجيبني • يجب أن تدرك أنني راهنت على انهيارك•• تبرعت بذلك•وهي فرصة لستمستعداً للتخلي عنها•

صوت : ولكن لماذا ؟

هـو : بصراحة ؟ لأبرهن لنفسي أحد أمرين•إما أن أجعله يتعاون فأبرهن لنفسي أنني لست دونه أمام ظروف القهر ، وأما أن أفشل •••

الصوت : حسناً • فاذا ما فشلت ؟••

هـو : سترون أنني لن أفشل •••

الصوت : ولكن ثمةاحتمال كبير للفشل•••أحتمله••• افترضه بايما نسبة تشاء وأحس فشلكمقدماً •••أحس فشلك أمام نموذج صالح للصمود•

هـو : لقد كان النموذج الذي اخترته صالحاً •• لماذا توارب ••• لقد أخبرتكم بذلك ••• كنت أحترمه وأعتبره غـير قابل للسقوط ولهـذا اخترته •• غامرت حقيقياً باختيـاره ••• احتملت كل احساسي بالخوف من الفشل مقدماً •••

الصوت : حاقد ••• أنت تصدر عن حقد تام ••

هـو : ربما •• كيف تجرؤ أن تطالب انساناً مثلي بالتجرد عن الحقد ، حينما يحاول الجميع أن

مكتبة الفكر الجديد

يتصرفوا وكأنهم أفضل مني وأنظف ٠٠ وأجدر ٠٠٠ أجل أنا حاقد يا سيدي ٠٠٠

صوت : وأفكارك ؟

هـو : يسقط الفكر !٠٠ لم تكن الافكار يوماً مجردة بهذا الشكل الذي تدعونني اليه ٠ إن فكري هو حاجتي ٠٠ أمـا حين تجرد القضية ٠٠ حين تعزلها عن عواطفي ٠٠٠ مخاوفي ٠٠ غضبي أحزاني ٠٠٠ حينذاك ٠٠٠ كيف أوضح لك الأمر ؟٠٠ انظر تستطيع أن تدرك أن واحداً زائداً واحداً يساويان اثنين ٠٠٠ ولكن هـذا لا يمكن أن يؤثر على عواطفك ٠٠ وألمك ٠٠ و ٠٠٠ أحقادك ٠ أن تدرك جدارة الحقيقة المجردة ، وتقارنها بما أنت فيـه من معاناة وتشعر بالعزلة عنها ٠٠ لأنها لـم تملك حين معاناتك أن تكسبك الى صفها فتنحاز اليها أكثر من انحيازك لتجربتك ٠٠٠ (بيأس) أنا مرتبك جداً ٠٠ ليس من السهل إيضاح ذلك ٠٠٠ لقد ظل سؤالك يعذبني وحين بدأوا معي ٠٠ وأحسست بأول بوادر انهياري جاء السؤال نفسه وسكن عذابي ٠٠٠

ـ وأفكارك ؟

ـ ماذا ؟

ـ تتخلى عنها ؟٠

مكتبة الفكر الجديد

ـ أبداً ... لسبب بسيط لانها لا تصلح للتغير بسهولة .

ـ ولكنك حين تتعاون ... ألا تحس بأنك انما تتعاون ضد أفكارك ؟

ـ هذا صحيح (بعد برهة) انما مهما تعاونت فانني لن أستطيع ولن تملك أية قوة أن تبدل من حقيقة أن واحداً زائداً واحداً يساويان اثنين .. ان كانت صحيحة ... فما قيمة تعاوني .

ـ القيمة أمام نفسك أيها الجبان .. القيمةأمام احتمالك لكل الزيف والتشويه والكذب .. إنك حين تتعاون تفقد كرامتك ...

ـ أنت على حق ... ولكن المشكلة ... آه لو يمكنك أن تقدر هذا ... المشكلة أن كرامتي لا تبدو لي أغلى من حياتي ... وددت منكل قلبي لو أحس بعكس هذا. اذ لو كانت كذلك، لاحتملت الموت ... ولكان الموت اختياراً سهلاً ...

ـ في هذا تحريف فاضح ... فأنت بهذا تجرد الذين ماتوا عن قيمة بطولتهم ...

ـ أبداً ... كل ما أطمئن اليه الآن .. هو أن الابطال أصبحوا أبطالاً لانهم وجدوا الموت

مكتبة الفكر الجديد

أسهل ... ألا ترى؟.. يرى البطل الموت أهون عنده من الخيانة ... يرى كرامته أغلى ... يرى حقائقه مرتبطة بأله ... فيختار ..

ـ اذن فليس في البطولة ما يجعلها تزدهي المرء..

ـ انها قيمة اجتماعية... ومن هنا تأتي فرحتها الاخيرة... ولا ريب في أنها فرحة طاغية... وشعور بالامتلاء لا يقابله شعور ..

ـ بل انها لقيمة نفسية .. وفردية بحتة ...

ـ لا بأس . قل انها قيمة نفسية أيضاً.. ولكنها لا تعدل العدم الذي تقود اليه .. انك حين تغدو بطلاً ستكون ميتاً .. ملغيا تماماً ... لن تحس شيئاً من مجدك ... كل ما تعد بـه نفسك سيكون بالنسبة اليك حلماً سريعاً ثـم ينتهي ... ليس ثمة بطولة للموتى ..

....

هـو : حكيت له تجربتي ... حكيتها باخلاص .
وكان يصغي الي مغمض العينين وعرق غزير يتصبب من جبينه .
قلت له :

ـ يجب أن تفهمني . فأنت ذكي . حين تعرضت لاختيارك كنت أقول لنفسي : ترى كيف سأواجه

مكتبة الفكر الجديد

الناس ؟ كيف سأواجهك أنت بالذات ٠٠٠٠
وأقول الحق ؟ لقد كنت يائساً من الناس ٠٠
إنما في أعمق ساعات ترددي وضعفي كان يلوح
لي أنني أستطيع أن أبرر نفسي أمامك ٠٠ أن
أقنعك بوجهة نظري ٠٠ وأن أتحاشى إحتقارك
ألا ترى ؟ هذا أهم ما في الامر ٠٠٠ أنت عودت
نفسك على احتقاري ٠٠٠ صدقني ٠٠٠ لقد
احتقرنا كلنا مقدماً هذا النموذج ٠٠ البشرية
احتقرته لمصلحتها ٠٠ أفهمني ٠٠ أتوسل اليك
٠٠٠ قل فقط أنك تفهمني والا ٠٠ فهل يعقل
أن يكون أيما فرد من هؤلاء الناس المتفرجين
أكثر صدقاً وشجاعة وصفاءً مني ؟٠٠ هؤلاء
الآلاف الذين يجرؤون على اتهامي واحتقاري
٠٠ ألا يثيرون قرفك ؟٠٠ أنظر ٠٠ إنهم
ينتظرونك أنت أيضاً لتموت ، فيتكرموا
بالتصفيق لك من كل عواطف الخوف والضعف
في نفوسهم ٠٠٠ أو لتضعف فيحتقروك ٠٠٠
حتى احتقارهم سهل ٠٠٠ احتقار لا طاقة له
على المعاناة ٠٠ إنه احتقار يومي ٠٠ كما
يمارسون تغسيل أيديهم ٠٠٠ كما يتناولون
طعامهم ٠٠ بلا أهمية ولا مبالاة ٠٠ هؤلاء
يا صاحبي من بينهم تراه أجدر مني باحترامك؟
وأنت بالضبط تدري كل ما فعلته ٠٠ عشرات
٠٠ عشرات السنين ٠٠٠ والآن ٠٠ إنكم ٠٠٠

مكتبة الفكر الجديد

انهم يريدون ببساطة الغاء كل هذا ، والحكم علي بأنني جبان ... وخائن ... وتافه .. وحقير ... بينما يُبرّأ كل هؤلاء الجالسين هناك ... بل انهم لا يتهمون أصلا ، مع أنهم في حالة كحالتي يحملون انهيارهم دون مقدمات .. (الى الناس) لستم أحسن مني ... حين كنتم في بيوتكم .. حين كانت همومكم صغيرة وعادية ... حين كنتم تنامون مع زوجاتكم وتتناولون افطاركم ... وتقرأون الصحف .. أنا كنت أناضل سنوات .. سنوات طويلة .. لم يحمل أحد منكم صليبي .. أيها القضاة .. من بينكم أحسن مني ؟..

أنا : (من بين الناس مشيراً الى الرجل الشامخ) انه أحسن منك .. وهذا مثل واحد ...

هو : حتى الآن هذا صحيح .. ولهذا اتخذته رهاني ... ولهذا أجلس اليه الساعة جلاداً وضحية .. أعذبه .. ويعذبني .. وأعامل غلبته وصموده ، كما أتعامل مع فشلي .. وضعفي (للشامخ الذي يتحول الآن الى القتيل) فكّر جيداً .. لن تخرج من هنا الا ميتاً أو متعاوناً ... هذا هو خيارك .. (بعد لحظة) ولكي يكون الأمر أكثر عدلاً ... ها أنا معك .. سجين أيضاً ... لن أبرح الغرفة ... احلف

مكتبة الفكر الجديد

لن أبرحها ... حتى تنهار أو تكون نهايتي .

وفي سري نويت : سنكون متكافئين . لن آكل طعاماً لن أذوق ماءً ... ومثله أيضاً سأنام على الارض ... وأعلنت له ذلك . وحين قلت ذلك بصوت مرتفع ، بدأ على التو الجوع والعطش . وخفت من أنني لن أحتمل العهد الذي أخذته على نفسي . وهتفت به :

ـ لن تصمد ...

قال ببساطة من خلال تعبه :

ـ سأجرّب ..

أجبته :

ـ هذا هو المهم . هذا بالضبط ما أريده . القضية كما تقول يجب أن تجرّب ... وأرى جلياً أنك تقبل التحدي .

قلت ذلك لان بساطته أخافتني . لم يفرحني قط أنه كف عن تشنجه السابق .. وصمته .. وعن نعته إياي بالحقير والجبان .. بالعكس .. أحسست في موقفه الجديد ثقة بالنفس . وكررت في نفسي : يجب ألا يبقى هادئاً ... وهمست له :

ـ شيء واحد أطمح اليه ... مهما جرى أرجو ألا تحقد علي ... لتكن القضية كما في رهان .

مكتبة الفكر الجديد

ابتسم باشفاق ، فزعقت به :

ـ ستنهار ·· وسترى !

ـ ربما ···

ـ والآن سأقيدك الى الخلف ···

ـ ···

ـ سأجعلهم يشدون قدميك و ··

قاطعني :

ـ إسمع· ان كنت تريد أن أحتفظ لك بجميل · فاتركني ·· دعهم يتولوا أمري بأنفسهم ·

ـ اذن فأنت تخافني ··· يا لبلاهتك · ما كان لك أن تقول هذا ··

ـ بل أنت تهرف···لقد تحدثت عن صداقتنا · شيء من هذه الصداقة ما زال باقياً في عواطفي لك ··· وأنت بعملك هذا تقضي عليه ··· انها قضية شخصية ·

ـ أجل ·· أجل ·· والآن استعطفني ·

ـ انني أرثي لك···ما أنت الا جلاد فاشل···

ـ بل لعلك تحسدني ··· وسترى وشيكاً أي جلاد يمكن أن أكون···انما بطريقتي الخاصة أدري أنك تتلهف الآن لان أعذبك ·· العذاب عندك يمكن أن يبرهن شيئاً ··· أبداً ·· سأجعلك قبل كل شيء تتهدم من الداخل ·

مكتبة الفكر الجديد

ـ مجنون ...

ـ حذار . لا تصفني بهذه الصفة . فانك بذلك تعفيني من كثير من مسؤولياتي . قل انني متعاون نموذجي . وها أنا ألعب بك تماماً . أنظر .. لشد ما أنت مرتبك ...

ورأيته يتململ ويحاول النهوض ... فسألته :

ـ ها ؟ الى أين ؟

ما رد علي ...

ـ ماذا تريد ؟..

قام من مكانه .. وتطلع حواليه بحيرة ...

ـ ماذا تريد ؟

قال بعصبية ..

ـ أريد أن أبول .

ضحكت . فلم يكن في الغرفة مكان يمكن أن يتبول فيه .. وهتفت :

ـ تبول حيث شئت . ستأتي ساعة تتبول فيها على نفسك ... ذلك ما يجب أن تعتاده منذ الآن .

لم يفعل . حزر الفكرة ، فلم يَبُل .. ظل فترة حائراً ثم عاد فجلس .

ـ ستبول على نفسك .

مكتبة الفكر الجديد

الابتذال ·· الابتذال ذاك شرط آخر ···
وتذكرت أحد المعتقلين · كان معصوب العينين،
ولفترة ما قاوم ثم فعلها على نفسه ···وانهار
بعد ذلك تماماً ·
(الساعة الواحدة بعد منتصف الليل) ·

البرد شديد ··· وأرض الغرفة مبللة بالماء
وسخة ·· وقلت في نفسي : القذارة تساعد على
الانهيار ، ورحت أتحدث اليه عن منام نظيف
·· وغرفة أنيقة ··· وأغطية بيضاء لها
رائحة البيت والصابون ··

لسنا وحدنا الموكلين بحمل خطايا البشرية ·
ـ يا حيوان · انك تعيش مرة واحدة · وهاأنت
هنا تتفسخ ·· وستموت مثل جيفة ···علام؟

أغمض عينيه · ناديت الحراس · فقيدوا
يديه الى الخلف ·· وشدوا قدميه ··وصرخت
بهم · شدوا بقوة ·· دعوا الحبال تنغرز في
اللحم ·· وخاطبته :

ـ بعد قليل سيبدأ ساعداك بالخدر ···ثم تنتابك
آلام ما تلبث أن تشتد ·· لقد جربت ذلك ·
أتدري ·· جرب لكي تبعد الالم عنك ، جرب
أن تفكر بي ·· احقد علي ···قل انني أكرهه
··· كررها ·· قل لن أتألم مكايدة له ···
شد على ناجذيك ··· والآن ·· ألم يبدأ

مكتبة
الفكر
الجديد

معصماك يؤلمانك؟ ... يا للعذاب البطيء ... انه يستنفدك رويداً رويداً .. فكر ان هـذا العذاب سيدوم مئة ساعة ... دهراً ... لهذا أفضل العذاب البطيء ... ذلك هـو رهاني وستكون عظيماً ان أنت صمدت ... ستحكم علي بالموت .. ولهذا حاول أن تصمد ... حاول أن تنهار .. لانني أمامك انسان محكوم بالدفاع عـن نفسه ... فكّر : انها الساعة الواحدة ... بعض المقاهي ما تزال مفتوحة ... ثمة من ناموا الآن وبدأوا يحلمون .. وأصحابك لابد قد فكروا فيك الآن ،واحتملوا انهيارك ... يا للقسوة .. انك حين تعتقل تصبح أمامهم موضع شبهة ... سيسلكون وكأنك انهرت ... وسيختار كل منهم لك في ذهنـه نهايتك ... سيتمنون لك الصمود ... لأنك ستكون صمود كل منهم شخصياً .. ولكن أمانيهم لن تضيف لك شيئاً لانها أمان مجانية .. والويل لك ان أنت لم تصمد ... »

انتبهت الى أنني بدأت أتكلم بنوع مـن الهذيان . فسكت .

كنت جائعاً وظمئاً .. ومُتعباً . وكان النوم على الارض كريهاً جداً .. قمت من مكاني ، وسرت فوقفت فوق جثته المقيدة ، وقلت له :

مكتبة الفكر الجديد

ـ أنت على حق · انني أحس شيئاً من الجنون · وثمة دوار يعصف برأسي · وما زلت أفكر في اقتراحك في أن أذهب اليهم وأطلب منهم اعفائي من هذه المهمة ·

تطلّع الي من أسفل · وخيل الي أنه يبتسم، فابتسمت أنا أيضاً · ورحت أتساءل : ترى أحقيقة هذا الذي أعيشه ·· أليس كل هذا حلماً كريهاً ؟

ساد الصمت من جديد · ساد بطريقة أحسست أنني أوشك معها أن أختنق فرحت أتحدث ، استعرضت أحداثاً عجيبة من طفولتي ، قلت له أنني دائماً كنت انساناً غير مفهوم ··· سيء الحظ ···

ـ والا فتصور ·· هل يمكنك أن تعتقد أن (ف) أجدر مني ··· (ف) الذي كنت لا تفتأ تصفه بأنه سخيف ·· تافه ·· حسناً ·· لقد مات (ف) وهو الآن بطل ··· بطل بالرغم منك ··· لماذا ؟ لماذا لم يُعط لي أن أكون بطلاً ؟ ·· هـل تتصور أنني لم أُرد ذلك ؟ ·· لم أُرده بالشكل الذي تريده أنت الآن ؟ انما ، ببساطة؟ لم يككن ذلك ممكناً ··· لم أحتمل ···

لم يرد علي ·· خيل لي أنه نائم ··· فأثارني ذلك بحيث تناولت وعاءً للماء وسكبته عـلى

مكتبة الفكر الجديد

جسمه للمرة الثانيـة ... وضحكت بشكل هستيري وأنا أراه ينتفض .. وهتفت :

ـ لا تحقد علي .. لا بـد أن أفعل هذا لتكون بطلاً .. وكلما ازددت ايغالاً في تعذيبك ، زاد ذلك من قيمة بطولتك أمامي وأمام نفسك .. أما الآخرون فلن يعرفوا ... هل تحتمل ذلك ؟

وجلست بجانبه .. هززته :

ـ ألا يؤلمك أن تكون بطلاً بصمت ؟.. بطلاً مجهولاً ؟.. ها ؟ هاك أعلى أنواع البطولة.. إنها من هذا النوع الذي لا يتشهى الاعلان عن نفسه .. بل على العكس . أتـدري ؟ لقد اكتشفت أن البطل الحقيقي هـو الذي يحس ببطولته أمام نفسه فقط ... ولاتعنيه الشهادة حتى من جلاديه ...

همهم شيئاً لم أفهمه ..

ومرة أخرى فكرت بالجنون.. أتراني أعاني مساً من الجنون ؟. هوذا انسان أحبه وأعذبه. ورحت أتذكر آخر مرة تناولت فيهـا الغداء معه .. كان بيتاً سرياً .

(شريط سينمائي يعرض لقطات من علاقته بالقتيل.. اللقطات سريعة ومقتضبة .. وبلا صوت .. سفرة في قطار .. اجتماع.. القتيل

مكتبة الفكر الجديد

و (هو) يجلسان متجاورين ·· في غرفة ما يدخل القتيل فيقوم (هو) ويعانقه ··· صورة فوتوغرافية قديمة لكليهما في حديقة ···منظر للقتيل في مطبعة سرية ··· ينقطع الشريط فجأة ·· ضوء ساطع على الشاشة ···أصوات أغان بلغات مختلفة ··· تظهر على الشاشة قطعة مكتوب عليها (نعتذر وسنواصل حالاً) ··· مارشات عسكرية ··· على الشاشة قطعة مكتوب عليها « انتظروا بياناً هاماً » يخفت الضوء والصوت تدريجياً ··· ويسود الظلام من جديد) ·

صوت في المايكرفون : مرة أخرى نطلب منكم أن تلتفتوا الى الخلف ···

صوت : أهذا هو البيان الهام ؟

أصوات : فلنلتفت ··· إفسح لي المجال···أنا لا أريد أن التفت ·· نريد أن نغادر··لقد تعبنا··· تعبنا من الدوران··دائماً التفتوا الى الخلف·· الخلف يصبح أمام وهوفي نفس الوقت خلف·· أيهما الخلف وأيهما الامام ؟·· التفتوا ·· حسناً أضيئوا المكان لنعرف أين نلتفت··هش لقد بدأوا ··

(يضاء المكان ··· الساعة السادسة)

هو : بدأ أول ضوء الفجر ·· لم أنم ··· ولم ينم

مكتبة الفكر الجديد

هو أيضاً ·· جلست بقربه ، وقلت له :

ـ سيطلع الصبح ··· يا لعذابك الذي لا ينتهي ·

كان معصماه قد ازرقا عند موضع القيد · وكان الحبل المشدود على قدميه قـد انغرز في اللحم · وسألته :

ـ ألم تستطع النوم ولو قليلا ؟ ··

ابتسم ·· كان سؤالي نكتة · قلت له :

ـ لم أنم أنا أيضاً ··· ألا تشتهي سيكارة ؟

وأشعلت سيكارة ، وحين حاولت أن أقربها من فمه ، خطر لي أن أقلب السيكارة ·· ففعلت: جعلت جانبها المشتعل متجهاً الى فمه ،ودسستها بين شفتيه · فأنّ · وقلت له :

ـ لا ·· لا تئن ··· ان الابطال لا يئنون ·· ولا يصرخون ·· فاذا فعلوا كان ذلك ايـذانا بانهيارهم ···

أحزنتني ملامحه · رأيت فيها وجهي ووجه أصدقائي ··· ورحت أشعل سيكارة جديدة ودسستها مشتعلة بين شفتي ، فعلت ذلك بروح رياضية إكراماً له ، ولكنه لم يكن ينظر الي · أحنقني ذلك ، فانحنيت عليه وهمست له :

ـ انظر ·· لا تغضب ·· لقد فعلت بنفسي نفس الشيء ···

مكتبة الفكر الجديد

انظر ..

لم ينظر

ـ ولكن .. انظر ..

لم ينظر ..

ـ بل ستنظر ..

لم يفعل . كان معتزاً بألمه .. ولا ريب أنه لم يرتح لفعلتي .

ـ إفتح عينيك أرجوك .. ها أنذا أحرق شفتي أنا أيضاً ... ألا تصدق .. أنظر .. ألا ترى ؟.. ها أنا أشعل سيكارة أخرى .. عبثاً كان يصر على حرماني من ذلك ... يا للؤم !

غضبت ، فلطمته وصحت به :

ـ أيها الوحش ... يا قاسي ... لماذا .. لماذا ؟

لم أكن محقاً في ثورتي ... ولكني كما قلت مظلوم ... فأنا أدري أنني لم أكن عادلاً حين طالبته بالتخلي عن عذابه الشخصي ، ليرمق باعجاب هوايتي في أن أشاركه العذاب . لقد صمم على أن يحسني كجلاد ... ولقد كنت جلاده حقاً ... انما ... أنى له أن يدرك أنني كنت جلاد نفسي ...

مكتبة الفكر الجديد

الساعة العاشرة ٠

متعب على الارض ٠٠٠ يرتجف من البرد ٠

صحت به :

ـ لا ترتجف أيها البطل ٠ جرب ألا ترتجف ٠

وتذكرت الليل ٠٠ والمطر ٠ « كان واضحاً انها تقاوم رعدة في صوتها٠٠٠وتطلعت اليها بصراحة ٠ كانت عند الزاويـة متجمعة على نفسها ٠٠ وبدت داخل سترتي مثـل طفلة ٠ وصوتها : « أوف يا ربي » كان البرد والظلام والمطر أشياء لا يمكن احتمالها ٠٠٠ »

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

ولم يعد القتيل يستطيع كبح جماح حاجته الى التبول٠٠٠قاوم كثيراً ٠ ظل طوال ساعات يقاوم ، متناسياً ألمه وقيوده والبرد الذي يتحرك في جسمه ٠٠٠ والمغص الذي كان يتحدر من عموده الفقري بشكل مبهم ٠٠٠ ولكن الامر لن يكون محتملاً بعد « فهي حاجة طبيعية » هكذا قال لنفسه٠٠٠وأرخى عضلاته المتوترة فعاجلته راحة ولذة غريبتان راحتـا تتسللان من جسمه بدفء٠٠٠وتنهد ٠٠٠ وكظم خجلاً عميقاً أمام نفسه٠٠٠وأصغى بذهول الى دقات قلبه وهو يتسمعها في أذنيه ٠٠٠ وللحظات خيل اليه أنه يوشك على النوم ٠٠٠ وكانت تصله خلال معاناته كلمات مبهمة٠٠تتركب فتصبح

مكتبة الفكر الجديد

ذات معنى خاص ... يجيب عنها في نفسه دون أن يحرك شفتيه .. دام ذلك دقائق .. ثم بدأت تؤلمه أطرافه ... وأحس الجرح في وجهه والبرد ... فاستيقظ من جديد ... وفتح عينيه وسمع صوتاً يقول :

ـ ستنهار ...

وللحظات راحت الكلمة تتردد في داخل فقال بقوة « سأصمد » وراح يكررها بحيث لم يعد يسمع ما كان يُقال ، وبحيث خفّ عليه ألم الجرح والجوع والبرد ... خف عليه كل شيء ألا هذا الالم الذي كان يتصاعد عند عضلات كتفيه ... وتطلع حواليه بقدر ما تسمح له حركة عينيه .. فلم يستطع تقدير الوقت . الا أنه تيقن أنه النهار ... لم يكن ثمة دليل على ذلك ... ولكنه حدس رائحة النهار التي تتسرب من ثقوب الباب .. وعاد العطش من جديد ، ففتح شفتيه المتورمتين وكاد يصيح : « عطشان » . الا أنه تدارك الكلمة في اللحظة الاخيرة . وعاد مرة أخرى ينتبه الى الصوت الذي يتحدث . هذه المرة رآه عند رأسه . وشعر بالعداوة فأفرحه ذلك . وحاول أن يعبّر عن كراهيته بعينيه ... حاول حاول جاهداً ... ولكن ألمه كان قد أتى على كل الطاقة التعبيرية التي تتحملها عضلات وجهه .

مكتبة الفكر الجديد

ـ هل تريد شيئاً ؟

وابتسم الجسم الماثل فوقه ، ومع هـذا فان شيئاً في داخله همس : (ماء) ٠

ـ هل أحل قيودك ؟

ظلت الابتسامة تبدو كريهة ٠ ومع هذا أيضاً فان صوتاً داخلياً فيه صدق الوعد ، وأحس بالراحة التي يهبها له حل قيوده٠٠٠ فاستشعر لذلك أن عضلات وجهه ارتخت ، فبدا أمام نفسه وكأنه يتوسل ٠٠٠ وحاول أن يقول : (لا) ٠

ـ ستنهار ٠٠

ـ لا ٠٠٠

قالها بقوة ٠ وفي أعماقه أحس من جديد مغصاً قاسياً٠٠٠ وتعرّق جبينه٠٠ فشد على ناجذيه٠

الساعة الثالثة عشرة

هـو : عند الزاوية الثانية ٠٠ يبـدو عليه التعب والانهاك٠٠٠ يبحث في جيبه عن سيكاره٠٠٠ فلا يجد ٠٠٠ يبصق ٠

القتيل : يرتعد مـن البرد ٠٠ ويظل يردد في نفسه : سأصمد ٠٠٠

هـو : تساءل في نفسه إن كان ثمة مبرر للعهد الذي أخذه على نفسه : ألا يرتاح ولا يشرب ماءً

مكتبة الفكر الجديد

ولا يطعم حتى ينهار (الشامخ) ... وحين تطلع الى الجثة الصامتة الى جانبه أخذه شك رهيب في أن (الشامخ) سينهار (يتحدث الى الناس) وكان علي لهذا أن أعمل بسرعة . وتذكرت . أن المهدد بالعذاب يعاني بعد راحته، الخوف من عذاب جديد. فقلت لنفسي : أهبه بعض الراحة ... ثم أبدأ ثانية ... (ينادي عند الباب) أيها الحرس ... (الى الناس) ليس أمامي متسع (يدخل أحد الحراس) فك القيد من يديه (الحارس ينصاع الى الأمر فاذا انتهى انثنى ليحل الحبل عن قدميه) قلت لك فك القيد عن يديه فقط ... اترك قدميه أيها الاحمق ... والآن أخرج (القتيل الآن مطلق اليدين . ومع هذا فهو لا يتحرك) أستطيع أن أقدر الراحة التي تحسها . هيا حرك يديك (الى الناس) اذا حرك يديه فسيعاني ألماً جديداً ... ألماً لا يقل عن ألم القيد . لقد جربت ذلك (يقترب من القتيل ويتناول كفه بيديه فيئن بطريقة مكظومة) .. يالله .. انظر كيف تورم كفك ... لا بأس .... إحتمل ذلك في سبيل أن تكون بطلاً ... ألا ترى .. لكي تكون بطلاً .. فلا بد أن تستعد لأن تتورم .. وتجرح .. وتذل ... وتنزف ... ليست البطولة لعباً ... والآن ها أنت ترتجف ...

مكتبة الفكر الجديد

ولا بد أن تصاب بالحمى قريباً ... أتريد أن أعينك على الجلوس ؟... حسناً .. ابق كما أنت... من الأحسن أن تنهار وأنت مضطجع ... تماماً كما يفعل المشرفون على الموت... ومن يدري لعلك تستعجل الموت الآن ... بل ستستعجله قريباً .. حينما يشتد العذاب ، يروح الابطال يستدعون الموت ... انهم يستدعونه بلهفة لسبب بسيط ... هو أن الموت يكون أرحم... لأنه يعجل بالبطولة... كثيرون أرادوا الموت.. فلم يسعفهم حظهم .. وأنت أيضاً لن تموت ... أجل .. أجل .. جرب أن تحرك يديك .. تؤلمانك ؟.. طبعاً لقد أنذرتك بذلك و ... أتريد أن أعيد القيد ؟.. حسناً .. هذا ما كنت أفكر به أنا أيضاً ... لا فائدة من فكّ القيود.. إن الألم هو هو .. أيها الحارس (يدخل) أوثقه مرة أخرى ... سيكون الالم جديداً هذه المرة .. (بألم) سيكون جديداً ...

(الساعة الخامسة عشرة) .

اشتد المغص على « القتيل »... فكاد يغطي على كل ما يحسه من آلام ... ولم يعد يأبه لارتجافه ... فهو يرتعش الآن بصراحة . ولكنه ظل في أعماقه يردد أنه لن يضعف ...

مكتبة الفكر الجديد

كان يشغله ألاّ يتساهل مع نفسه فيتغوط الآن على ملابسه ... وكان يبعد عن نفسه فكرة أنه لو فعلها فلن يعني ذلك شيئاً .. ولكن ذهنه ظل يحس القضية بشكل رمزي أفزعه .. قال له خاطر أنه لو تساهل مع هـذا المغص القاتل فلربما تساهل في أمـور أخرى . ولهذا ظل يردد ... سأصمد ... أصمد .. أصمد . ولئن حدث ولم أستطع كبح قسوة هذا المغص فان ذلك لن يعني شيئاً ...

هـو : (للناس) أما أنا .. فكان فزعي يشتد بمرور الساعات .. كنت أحس أنني أجن بطريقة ما . بحيث أتبين أحياناً أنني لا أعي ما اريـد . فللحظات ، كان يطغى على مشاعري حنان غير متوقع . وأود حينذاك لو أكف ... انقطع عن هـذا الكابوس الرهيب الذي اخترته . فيريعني أن الطريق يبدو مسدوداً وميؤساً منه . ثم من خلال ذلك ، بل وفي أعقابه تماماً يدركني رثاء غريب لنفسي ، وكراهيـة فظيعة لكل ما يبـدو متماسكاً ، بحيث امتلىء بالتحدي ، وأدرك أنني أتشهى انهيار العالم بأسره (الى الناس) يتعذب البطل أيها السادة ... أجل ... ولكن اعترفوا أن المنهار يتعذب أيضاً ... ... انه يعاني فظيعاً لتخلخله وسقوطه ...

مكتبة الفكر الجديد

هذا البنيان المتداعي ، تتأوه أحجاره وتفرز حنقاً رهيباً ... وهو وحيد فوق كل ذلك ... يتخلى عنه كل شيء .. حتى نفسه ... وماضيه .. ومستقبله .

ملتُ عليه من جديد . وحدقت الى ملامحه المعذبة وقلت له :

ـ كلانا يتعذب ياصاحبي ، فمن المسؤول عن ذلك؟

نظر الي ، فصرخت به :

ـ لا ... لست المسؤول . فلا تنظر الي . من السذاجة أن تحملني المسؤولية . فالعالم بأسره مسؤول عن أبطاله وخونته ومنهاريه ... لو كان عالماً نظيفاً لما أمكن أن ينقسم الناس فيه بهذا الشكل بين عذابين ... لستُ مسؤولا .. والا لكنت أنت أيضاً مسؤولا عن احتمالك ... يا صديقي .. يا صديقي ، كيف فقدنا امكانياتنا على الصداقة ... أين أضعناها ؟ من المسؤول ؟

(الساعة السادسة عشرة) .

جاء الليل ثانيةً . الطعام الذي جاءوا به برد هناك وتغير لونه . وكنت جائعاً . وفكرت: اطلب طعاماً جديداً .. وآكل .. واغتسل .. وأرتاح .. لكني أقلعت عن الفكرة . يجب أن

مكتبة الفكر الجديد

أستدر من تعبي وانفعالي كل الطاقة على لعب دوري ... و ... قليلاً من احترام نفسي ... وعدا هذا ، فلا يصح أن أتركه يرتاح كنت أعلم أنـه لم ينم ... فقد كان الماء الذي أسكبه على جسمه بين حين وآخر ، يجعل النوم صعباً ... ويزيد من ارتجافه .. وكنت أعلم أنه يتألم ... فمنذ قليل بدأ ينن ..

قال « القتيل » في نفسه : آه لو استطيع ان أتلافى هذا المغص ... أما « هو » فكر يجب أن أفعل شيئاً . و نادى على الحراس :

ـ أيها الحراس (الى القتيل) والآن اعذرني .. فسأجرب شيئاً جديداً (ينحني عليه) استيقظ ... افتح عينيك يا صاحبي . وقل هل جربت أن تحتمل الماء المغلي ؟ (يبتسم بمرارة) لست جلاداً مرهف الخيال ... ها أنا أعيد بعض ما خبرته أثناء تجربتي .. وسترى .. سأسلق قدميك ... آخرون رأيت أقدامهم تشوى ... شممت منها رائحة الشواء ... رائحة بشعة توشك أن تدفع وحدها الى الانهيار .. (أيها الحرس) أتدري يا صاحبي ؟ حتى الجلاد له عذابه . انه يعاني قلقاً ، ورفضاً داخليا ، ليس من السهل تجاوزه . انه يخاف العذاب الذي يستعمله ... يتصوره ، ويفكر دائماً في الاقلاع

مكتبة الفكر الجديد

عن دوره ... في كل لحظة يخيل للجلاد أنه موشك أن ينهار.. ولكنه يبقى يمارس العذاب والتعذيب أو يتحول الى شخص مجنون.. لابد للجلاد أن يكون مجنوناً .. لا بد للبطل أن يكون مجنوناً ... هؤلاء جميعاً أناس غير عاديين حتى الخونة ... (يدخل الحارس) إسمع . الي بماء مغلي .

هو : (الى الناس) وجاءوا بماء مغلي ما إن رأيته حتى أحسست بالخوف . واقشعر جسمي ... قلت وأنا أرتجف :

ـ استعد . افتح عينيك ..

وانصاع لي بشكل آلي . فتح عينيه . فرأيت الخوف فيهما إنسانياً الى أبعد الحدود . فترددت . وخيل لي أنني سأقول له : هيا فلننه هذه المهزلة.. دعنا نستيقظ من هذا الحلم الكريه ، ولكنني لم أقل شيئاً . كنت أراقب وجهه وهو يتابع حركتي ، ورأيت عضلات جسمه تتحفز .. أحسستها في أصابع قدميه وهي تتطلع الي مثل حيوانات أليفة .. وظل ذهني وأنا أقترب من الارض يسألني : لماذا .. لماذا... وهتفت به من أعماق الرعب الذي أعانيه :

ـ أيها المجنون ؟ ماذا تقول ؟

زادت عيناه اتساعاً . وأيقنت أنه سيقول شيئاً .

مكتبة الفكر الجديد

شيئاً ما يجعلني أنهار ، فأهرع إليـه وأعانقه ... لم يقل ... ظل يتطلع الي بترقب مخبول صامت .. فيه ادانة .. ورفض مريعين ...
صرخت بوحشية :

ـ خذ !!

وسكبت المـاء . وسمعت صرخته المكظومة تتردد في حنجرتي ، بل أحسبني صرخت معه . وفررت . تركته والتجأت الى زاويـة حيث لا يمكنني أن أرى شيئاً .. وخجلت' .. خجلت' من فعلتي .. وخجلت من ضعفي .. ورحت أدق الجدار وأنـا أردد في أعماقي : لماذا ؟. لماذا ؟

(الساعة الثامنة عشرة)

تمنى « القتيل » الموت ... أصبح التفكير في احتمال أن يعاجله الموت عزاءً .. وودّ من كل قلبه أن لا ينقطع عنه التعذيب ... عل موجة من الالم تنهي حياته فيرتاح ... أوحى لـه بذلك الاغماء اللذيذ الذي عاجله لحظة سقوط المـاء على قدميه . اغماء كالحلم .. خفيف .. وناعم ...

يجب أن يأتي المـوت ... فالموت عذب . وتمنى لو يستطيع الانتحار ... عبثاً . حاول

مكتبة الفكر الجديد

أن يصيح من خلال العذاب الذي يصعد الى قلبه من قدمين :

ـ أيها الانذال ...

فخذله صوته وبدا متحشرجاً ... ومع هذا وجد تسلية في أن يصرخ ... وجرب شتائم سخيفة ... حتى أخذه التعب ... وأحس أن صوته يتحول الى أنين . فقاوم ذلك ... قاوم صوته .. وراعه أن ذلك لم يعد ممكناً ... ان أنفاسه هي التي تئن ... ولا دخل له .. جرب .. ولكنه أحس أنه سيختنق ... أولى به اذن أن يشتم ...

ـ أيها الجبناء .. انني أتحداكم ...

وفي نفس اللحظة انتبه الى أنه قد تغوط على نفسه ... وأدرك أنه ذلك لا بد حدث حين كان غائباً عن الوعي ... ولكنه اللحظة لم يأبه .. لم يشعر بالخجل ... كان جسمه قد فقد الطاقة على التحسس ... انه لا يتحسس الآن شيئاً سوى آلامه التي لا تطاق ... ومرة أخرى وبالرغم منه راح يئن ..

هـو : ملت عليه وهتفت :

ـ ما زال أمامك يومان آخران .. ما زال أمامنا يومان ... يا صاحبي اختصر كل هذا ...

مكتبة الفكر الجديد

والا فأسأل نفسك ان كنت ستملك الصمود خلال يومين آخرين ... وخلال أيام أخرى معهم ... يا صديقي من الذي كتب علينا كل هذا العذاب ؟

(الساعة العشرون)

قلت لنفسي يجب الاسراع. والا فانالانهيار سيعاجلني قبله. كانت قدماهالآن قد تحولتا الى لون أحمر وانسلخ الجلد عنمواضع منها... وغدا أنينه يلاحقني... هكذا : أنينأحيوانياً يصدر برتابة عن شهيقه وزفيره ...

ومرات كبحت جماح نفسي في أن أنفض يدي .. مرات كان صوته يصدمني :

ـ اسمع . ان كنت تريد أن أحتفظ لك بجميل. فاتركني .. دعهم يتولوا أمري بأنفسهم . متى ينهار ؟

كيف يصمد البطل ؟
وجاءني صوته متعباً ...

ـ أيها ال .. جبناء ...

خيل لي أنالصوت الآن يحمل رنة حزن... كطفل يبكي .. كولد صغير يوشك أن ينخرط في البكاء .. وأوحى ذلك لأول مرة باحتمال انهياره. فركبني خوف مبهم... خوف حاولت

مكتبة الفكر الجديد

دفعه ·· ولم أرتض تصديقه · قلت من خلال ارتباكي ···

ـ ستنهار ··

وأرعبني صوتي ··· وسمعت أصواتاً تتداخل في أعماقي ·

ـ تخون ؟

ـ أجـل

ـ قلها

ـ ماذا أقول ؟

ـ قل أخون ···

وأفلتت مـن بين شفتي (لا) ملسوعة · وخاطبته في قلبي بالرغم مني ···

ـ اصمد ··· يا صاحبي ···

وتذكرت حين اتفقت وايـاه على الهرب وجاء صوته :

ـ سأعد الى العشرة ··· سأقتلك وأقتل نفسي · واستدعى صوته أصواتاً ملأت الغرفـة · أصواتاً اختلطت بأنينه ،وتقطعت معه ··· فكأنها جميعاً تصدر عن أنين :

ـ لشد ما كنت مخدوعاً بك ··· أنت أسوأ مني · خائن ··

ـ اسلكوا الزقاق وسيقودكم الشارع من الخلف ·

ـ بردانة ·· ها ؟

مكتبة الفكر الجديد

ـ مغامرة أن تجيء الى هنا ٠
ـ قف ٠٠ هويتك
ـ عيني ٠٠ حوصرنا والاولاد في البيت ٠

ورأيت أناساً يموتون ٠٠ ووجوها تنطفيء ٠٠٠ وسمعت أصوات عيارات نارية ٠٠ وسيارات تعبر مسرعة ٠٠ ومطر يسقط بقذارة ٠ وكنت أسأل دائماً :

ـ تخون ؟
ـ أجل ٠٠
ـ قتلها ٠٠٠

وهتفت من خلال الكابوس الجاثم على روحي :
ـ أولى بك أن تستسلم ٠٠٠ هل تسمعني ؟٠٠

فتح عينيه ٠ فبانتا الآن جد حزينتين ٠ بحيث لم أستطع النظر اليهما ، فهمهمت :
ـ لست جلاداً ناجحاً كما قلت ٠ وأنا الآن مجنون تماماً ٠٠٠

همس بضعف :
ـ كيف ؟ أنت تدري أنني لا أستطيع ٠ يجب أن تنهار ٠ والا فانك تقضي علي ٠٠٠

ومن جديد عاجلتني أصوات غريبة ٠٠ قاسية ٠٠ وامتلأت الغرفة بعيون قاسية ، تحدق الي مستهجنة .. وسمعت أصواتاً تصرخ في وجهي :

مكتبة الفكر الجديد

.. جبان .. حقير .. خائن .. نذل .. تافه .. قاتل ... أيها الجلاد .. يا منهار .. يا خائن قضيته ... يا قاتل أصدقائه .. هي .. هي ...

وخيل لي أنني أسمع صوت الباب يفتح ... التفت اليه فوجدته موصداً .. ومع ذلك بدا كأن عدة أشخاص يدخلون و بأيديهم آلات التعذيب ... فهتفت بضراعة :

ـ لا .. اتركوني .. سأكمل مهمتي ..

وجاء على أثرهم قضاة يرتدون ملابس سوداً ... وسمعت أصواتاً تصدر أحكام الاعدام ... وميزت اسمي ... ورأيت كثيرين يشنقون ..

وفتح الباب : رأيته يفتح هذه المرة . ولم أستطيع أن أتأكد ان كان ما رأيته من صنع الوهم .. فقد كانوا ثلاثة . حدقوا الى كلينا باستغراب . وتفرسوا في وجهي . وقال أحدهم :

ـ لا نستطيع أن نمهلك أربعة أيام . يجب أن نحصل على ما عنده بسرعة ... اخرج . دعه لنا ...

ـ ولكنكم لن تحصلوا منه على شيء ... اتركوه لي . فقد أوشكت أن أجعله يتكلم ...

ـ هل قال شيئاً ؟

مكتبة الفكر الجديد

ـ ليس بعد ·· ولكنـه سيتكلم ··· امهلوني يوماً آخر ···

توسلت ·· توسلت بذلة · ولهفة ···

ـ احلف لكم أنني سأجعله يتكلم بعد ساعةواحدة ·· بعد ساعتين فقط ··· اتركـوه ·· أرجوكم ···

مرة أخرى حدقوا ··· وقال أخطرهم :

ـ حسناً لك ساعتان فقط ··· يجب أن تسرع ·

هتفت :

ـ ساعة واحدة فقط ·· وسترون ··

(بعد عشر دقائق)

هـو : ولكنك لا بد سمعتهم ؟ لا تدعي بأنكلم تسمع· بعد ساعتين ستكون بين أيديهم· وهم محترفون لو تدري · جلادون محترفون ··· سينتزعون أظافرك ·· ولسوف يجعلون من جسمك شواءً ·· فعلام تُطيلُ عذابك ·· وعذابي ؟·· هيا تكلم ·· وكف عن هذا الأنين ··· آه لو كنت على يقين من أنك لن تضعف أمامهم ·· أتدري ؟ لكان ذاك مدعاة فخري ·· ولكنكلن تصمد ·· أيهـا الاحمق ··· لا تدفعني الى القسوة···كن ذكياً واستغل فيّ ضعفي ··· (يستمر القتيل في الأنين) والآن هيـا ··· تكلم ··· قل لنفسك ان هذا العذاب سينتهي

مكتبة الفكر الجديد

... وسنعود صديقين .. صديقين متفاهمين كما كنا (لنفسه) لا فائدة ... (يخاطبه) ولكنك تسمعني أليس كذلك؟.. هيا لا تتظاهر بأنك فقدت الوعي (يهزه) سأحل قيودك .. وأداوي جروحك ... هيـا .. تكلم .. (لنفسه) لا فائدة .. ليس من هو أكثر مني سوء حظ ... وكل ذلك بسبب من طيب قلبي .. وسذاجتي ... ولكن لا ... لن تنتصر علي ... لن تنتصر بسبب من أن تكون قاسياً ... أنتـم جميعاً لن تنتصروا علي ... (يصرخ) أيهـا الحراس .. (الى القتيل) سأكسر ساقيك ... هل تدري... سأسلمك اليهم جثة... ولسوف ترى أنك قبل أن تنتهي الساعتان ، ستنهار (يدخل أحـد الحراس) اسمع ... أريد مطرقة ... مطرقة من نوع ضخم ... وبسرعة هيا.. (يخرج الحارس) ماذا تقول الآن ؟... أيهـا الاحمق .. لكل مخلوق درجة معينة من الاحتمال ... انك في لحظة تحس بقدرتك على الاحتمال .. ولكنك في لحظة مقبلة لاتدري كيف تؤول اليه قدرتك على ابتلاع العذاب ... فاستيقظ .. لا تهدر عذابك مجاناً ... احلف أنك لن تفلت مـن من يدي .. ولن تتملص مـن رهاني ... (يدخل الحارس بالمطرقة) .

مكتبة الفكر الجديد

(بعد نصف ساعة)

هـو : في كل ساق عظمان.. حللت الوثاق عن قدميه.. وبدأت بالساق اليسرى... لم أستطع أن أفعل ذلك بضربة واحدة كما خيل لي ... كان خوفي يشل يدي... ومع كل ضربة كان الألم يتصاعد داخلي ... وأغمي عليه... فقمت كالمجنون وسفحت عليه الماء فأفاق... وتطلع الي برعب ... وانخذال... ولم أستطع أن أمنع نفسي عن الصراخ :

ـ أيها الغبي علام كل هذا ؟... أنت تدري أنني سأهشم الساق الاخرى ... فاحذرني لست تدري كم يعتمل فيمن هم على شاكلتي من جنون ... يا صديقي... انني أعذبك وأتعذب.. أفلا تحس هذا ... هيا ... طاوعني ... تكلم ...

وسمعت صوته وانياً يهتف :

ـ لا ...

ـ بل ستتكلم ..

همس :

ـ أبداً ...

أي حلم كريه؟.. قلت لكم أنني كنت مجنوناً وفي غمرة مـن جنوني حملت المطرقة ...

مكتبة الفكر الجديد

وأهويت بها على ساقي أنا هـذه المرة ... هويت بها .. مرة مرتين ..

لماذا ؟

كان يراني .. التقت عيني بعينه ، وفهمت بطريقة مبهمة تعاطفه ، فامتلأت حزنـاً .. وعاطفة .. ورحت أزحف اليه ... ودموعي تسيل على وجهي ، وحين أدركته ، بدا لي أننا انسانان غريبان ... محكومان بشروط ظالمة ... ورحت أبكي على صدره ... وفي نفسي احساس صادق .. واحساس مزيف .. احساسان يختلطان .. وكل منهما يتهم صاحبه ...

وجاءني صوته :

ـ أنقذني ..

قلت من بين بكائي :

ـ كيف ... بل أنت من سينقذني ... تكلم ..

همس بصعوبة :

ـ لن أفعل ... يجب ألا تسمح لي ...

ـ ولكنك ستتكلم ... اذا أخذوك فستقول لهم ... ستنهار ...

كرر من جديد :

ـ أنقذني ... لذلك يجب أن تنقذني ..

رفعت رأسي وصحت به : كيف ؟

مكتبة الفكر الجديد

همس : اقتلني ... ستكون بطلاً ان فعلت !
ـ ولكن ..
ـ كل شيء سيمحي ... وسنعود أصدقاء من جديد .
ـ ولكن ... ...

كنت أضغط على رقبته .. وكان
مطر" ما يسقط في مكان من روحي
.. مطر ولـذة تعدل الســقوط
والخيبة واليأس ... كانت الحياة
تنخر في صدري آه ... إه ...
كنا بدائيين مثل الخطيئة الاولى ..
وصوته ... إع ... خ ...
خ ... وعندما انتهى كل شيء ..
أحسست بالراحة .. وبـدأ مطر
كثير بالسقوط .

١٩٧٠

مكتبة
الفكر
الجديد

مكتبة
الفكر
الجديد

منشورات اتحاد الكتاب العرب

الله والفقر	(قصص)	صدقي اسماعيل
الرعـــد	(قصص)	[illegible]
الومض	(قصص)	حيدر حيدر
تلويحة الأيدي المتعبة	(شعر)	ممدوح عدوان
الرحيـــل	(قصص)	جورج سالم
الفرح ليس مهنتي	(شعر)	محمد الماغوط
الحدود والاسوار	(قصص)	جان الكسان
أنهار من زبد	(شعر)	علي كنعان
قارب الزمن الثقيل	(رواية)	عبد النبي حجازي
الوليمـــة	(قصص)	اسكندر لوقا
الرجل الاثري	(قصص)	عبد العزيز هلال
قد لا يكون الحب	(قصص)	أديب النحوي
نوافذ البروج المضاءة	(شعر)	أحمد سليمان الاحمد
الاوراق	(دراسة)	ابراهيم كيلاني
كان ياما كان	(دراسة)	عادل أبو شنب
الدخول في شعب بوان	(شعر)	محمد عمران
نداءات الى صقر قريش	(شعر)	عمر صبري كتمتو
الجوع والقمر	(شعر)	محمد عفيفي مطر
حكاية بسيطة	(قصص)	حسيب كيالي
حصـــاد الشمس	(شعر)	عبد الكريم الناعم
حوارية الموت والنخيل	(شعر)	نزيه أبو عفش
الخطا التي تنحدر	(مسرحية)	أحمد يوسف داود

مكتبة الفكر الجديد

منشورات اتحاد الكتاب العرب

كلمات أخيرة	(شعر)	محمد جنيدي
المسرح العربي	(دراسة)	سلمان قطاية
قصـــتان	(قصص)	كوليت خوري
السجناء لا يحاربون	(قصص)	أكرم شريم
الدم يورق زيتونا	(شعر)	صالح هواري
ملح الارض	(رواية)	صلاح الدهني
عندما يهاجر السنونو	(شعر)	فايز خضور
القلعة الخامسة	(رواية)	فاضل العزاوي
السيران ولعبة أولاد يعقوب	(قصص)	عبد الله عبد
أوراق مهملة	(شعر)	رشيد ياسين
دوائر عدم الامكان	(قصة)	مجيد طوبيا
عنادل مهاجرة	(دراسة)	الدكتور عمر الدقاق
قمم في الادب العالمي	(دراسة)	الدكتور بديع حقي
ميسون وقصائد أخرى	(شعر)	سليمان العيسى
دمشق الحرائق	(قصص)	زكريا تامر
نحن الملك	(مسرحية)	محمد خير الدين
قصائد في الحب والنضال	(شعر)	خالد البرادعي
سهرة مع أبي خليل القباني	(مسرحية)	سعد الله ونوس
الرحيل الى مدن الحلم	(دراسة)	صبري حافظ
الشعر العربي والقضية الفلسطينية	(دراسة)	أحمد سليمان الاحمد
سامراء الجديدة	(شعر)	سهيل ابراهيم
شخصيات	(دراسات)	ابراهيم الكيلاني
من يحب الفقر	(رواية)	عبد العزيز هلال
المهر زاهـــد	(مسرحية)	حسيب كيالي
هذا الشعر الحديث	(دراسة)	أحمد سليمان الأحمد
عيون في الحلم	(قصص)	عبدالرحمن نجيب الربيعي

مكتبة الفكر الجديد

السعر : ٣٠٠ ق.س

مطابع الف باء ـ الأديب ـ دمشق

مكتبة الفكر الجديد